

طبوعات ورسائل المشيخة المحمدية

أبْجَدِيَّةُ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ

بَعْضُ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ

بحث جامع في أسئلة صحفية شاملة وأهميّة صوفية كاملة

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي أبو هادي

رائد المشيخة المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الطبعة الخامسة

سلسلة منشورات ورسائل
العشيرة المحمدية
مسجد المشايخ - قايتباي - القاهرة
تليفون : ٣٤١٦٠٤٧ - ٣٤١٠٥٠٦

أبْجَدِيَّةُ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ بَعْضُ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ

بحث جامع في أسئلة صحفية شاملة وأجوبة صوفية كاملة

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

مؤسسة أحياء التراث الصوفى

بالتعاون مع
مركز الدراسات والبحوث
بجامعة القاهرة
٢٠١٧ - ٢٠١٨

راجع هذه الطبعة الأخ المفضل الأستاذ عبد الكريم عدس
بالتعاون مع عبد الرحمن حسن محمود
جزاهما الله خيراً

كافة حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سيرة الإمام الخميني

تعريف موجز بفضيلة الإمام

رائد العشيرة ، وشيخ الطريقة المحمدية ومجدد التصوف ومؤسس

الصحوة الصوفية المعاصرة »

(١)

هو العالم الموسوعي ، الداعية ، القطب ، المجاهد ، الكاتب ، الخطيب ، الشاعر ، المحاضر ، المعتصم بالله (السيد محمد زكي إبراهيم) وكنيته (أبو البركات) ، ولقبه (زكي الدين) ، وقد وُلد بيت الأسرة ببولاق بمصر ، ووالده القطب الشريف الحسيني (السيد إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي) ، ووالدته الشريفة الحسينية (السيدة الزهراء فاطمة النبوية) بنت القطب الأكبر الشيخ (محمود أبو عليان الشاذلي) . وله ولدان وبنت كلهم متزوج وله أولاد .

وهو خريج الأزهر ، ويجيد عدة لغات . وكان مفتشاً للتعليم بوزارة التربية والتعليم ، ثم أستاذاً بالدراسات العليا والمعهد العالي لتدريب الأئمة والوعاظ ، ثم عميداً لمعهد (إعداد الدعاة) قبل أن تضمه إليها وزارة الأوقاف بعد أن أنشأته العشيرة ، وتخرَّج فيه كثير من أشرف الدعاة .

وترجم لإقبال عن الفارسية ، وللشاعر الألماني (هايني رش هايني) ، ولغيره من شعراء أوروبا ، وقد نشر أكثر ذلك بمجلة « أبولو » التي كان يشارك في الإشراف عليها أمير الشعراء « أحمد شوقي » ، وفي غيرها من المجلات الأدبية .

* * *

(٢)

وهو رائد العشيرة المحمدية ، ومؤسسها ، ومؤسس مجلة (المسلم)
المجلة الصوفية الأولى فى العالم الإسلامى ، ومؤسس معهد إعداد الدعاة -
أول معهد شعبى من نوعه - ومؤسس الطريقة المحمدية الشاذلية ، ومجدد
مسجد ومشهد المشايخ بقايتباى ، ومراقد مسجد أهل الله ببرقوق ، ومجدد
ساحات أبى عليان بالصعيد ، ومؤسس المجمع المحمدى بمنشية ناصر والدويقة
والحرفيين ، والساحة المحمدية بحميثرة ، ثم هو عضو بالمجلس الأعلى للشئون
الإسلامية ، واللجنة الدينية العليا بمحافظة القاهرة ، والمؤتمر العالمى للسيرة
والسنة ، ومؤتمر التبليغ والدعوة العالمى ، وبعض المجامع العلمية بالبلاد
العربية والإسلامية ، وله مكتبته النادرة العامرة بأمهات الكتب القيمة والنادرة
القديمة والحديثة .

* * *

(٣)

وقد أهدها الرئيس جمال عبد الناصر (وشاح الرواد الأوائل
ونوط التكريم) ، وأهدها الرئيس السادات (نوط الامتياز الذهبى) من الطبقة
الأولى ، وأهدها الرئيس حسنى مبارك (وسام العلوم والفنون) المخصص
لكبار العلماء والأدباء ، ثم أهدها (نوط الامتياز الذهبى) من الطبقة الأولى
أيضاً . وأهدها الرئيس اليمنى عبد الله السلال (وشاح اليمن والخنجر) ،
وأهدته محافظة القاهرة ، ووزارة الشئون الاجتماعية ، وبعض المؤسسات
الكبرى : عددًا كبيراً من شهادات التقدير والأوسمه ، ذات القيمة الكبيرة .
كما كان مؤسساً لمؤتمر الهيئات والجمعيات الدينية ، للعمل على تطبيق الشريعة
الإسلامية ، باشتراك أخيه فى الله (شيخ الأزهر) الدكتور عبد الحلیم محمود
والأستاذ الشيخ حسنين مخلوف عميد الإفتاء ، وعضوية جمهرة رؤساء وعلماء
وممثلى الجماعات الإسلامية الرسمية والشعبية بمصر الذى انعقد فى الثمانينات
لثلاثة أيام ، كما أسس المؤتمر الصوفى العالمى ، ومؤتمر المرأة المسلمة الذى عقد
فى أوائل الخمسينات .

* * *

(٤)

كما كان أميناً ورائداً دينياً لجماعات الشبان المسلمين العالمية والمؤتمر القرآنى ، برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعى ، واللجنة العليا للدعوة بالأزهر برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، وكان خبيراً باللجنتين التاريخيتين لإصلاح التصوف برئاسة السيد وزير الداخلية ثم برئاسة الشيخ الباقورى وزير الإوقاف وقتئذ (رحمه الله) . وعلى مجهود هاتين اللجنتين صدرت اللائحة الصوفية الحالية ، وقد كان له عليها عدة مآخذ لولا أنها كانت الخطوة الأولى فى سبيل إصلاح التصوف بمصر .

كما كان عضواً إدارياً عاملاً فى أكثر من جماعة وهيئة ولجنة إسلامية واجتماعية وثقافية عامة وخاصة رسمية وشعبية ، بمصر والخارج . منها جماعة (أبولو) للشعراء برئاسة المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء ، كما اشتغل فترة بالصحافة والنشاط النقابى للمعلمين ، كل هذا رغم امتحانه الدائم بالأمراض الشديدة والمواقع المستمرة ، وبرغم ما يبذل بكل السخاء ، وبالغ الجود ، من ماله الخاص فى سبيل الدعوة والإسلام بلا من ولا أذى ولا إعلان .

وله مشاركته الكبرى فى تجديد المسجد الحالى لمولانا الإمام الشاذلى وتطهير مولده السنوى تمهيداً لما هو أفضل



(٥)

وقد شارك فى الإعداد للحرب عام ١٩٧٣م هو وتلاميذه وكبار أعضاء العشيرة والطريقة بأعمال التعبئة والتوعية والإعداد ، حتى كان بيت الليالى ذوات العدد مع جنود الجبهة على البحر الأحمر مع أخيه فى الله زعيم السويس الشعبى الصوفى الشيخ حافظ سلامة ، وزميله فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، وبعض العلماء . وكم تعرض ومن معه للأخطار الداهمة وواجه الأسر والقتل بين بورسعيد والإسماعيلية والسويس أمام الهجمات اليهودية وذلك ورائته عن شيخه أبى الحسن الشاذلى فى موقعة المنصورة أمام الصليبيين وغيره من الصوفية السابقين .



ولا بد أن نشير هنا إلى فرع العشيرة والطريقة بالسويس الذى قام بالبطولات الفدائية وبالمشاركة الإيجابية الدائمة فى الكفاح ضد اليهود منذ حرب ١٩٤٨ حتى جاء نصر الله تحت إشراف الأخ الشيخ « المهدي عبد الوهاب » .
ولشيخنا عشرات من مؤلفاته النادرة الكثيرة الدقيقة فى التصوف الإسلامى والدفاع العلمى عنه ، وبيان أصيله من دخيله ، ثم مؤلفاته فى بقية العلوم الإسلامية والآداب والشعر والاجتماع والمعارف العامة ، وله نشاطه الدينى بالإذاعة والتليفزيون والجرائد والمجلات بمصر وغيرها ، وله خطبه ومحاضراته ودروسه وفتاويه المسجلة على الكاسيت وغيره بالمساجد والنوادي والأحفال وغيرها ، ولا تزال : خصوصاً دروسه بمسجد مشايخنا بقايتبى .
وهو يكافح التطرف والتشدد ، بقدر ما يكافح التخريف والتحريف والتظاهر والرياء والضعف ، داعياً إلى الوسطية والسماحة والحب والسلام والعلم والعلاقة بالله ، والتقريب بين طوائف المسلمين على أساس الربانية القرآنية مكافحاً الجمود والجحود والتخلف والتعصب والتطرف والإرهاب والتخريب .

* * *

(٦)

وله دعوته العلمية الثائرة القوية العملية إلى (الصحوة الصوفية الناهضة) وإلى تحرير التصوف وتطهيره وإدماجه فى الحياة الجادة ، على طريق الكتاب والسنة ، قولاً وعملاً ، ثم دعوته إلى (الجامعة الصوفية العالمية) كنواة للتجمع الإسلامى ، وإلى الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية ، ودعوته إلى إنشاء (دائرة المعارف الصوفية التاريخية) وبيت الصوفية الجامع للمكتبة ، والمستشفى والفندق ، وقاعة الاحتفال ومعهد الدراسات الصوفية ، والمطبعة والمجلة والجريدة ، وكافة المرافق . والمؤتمر الصوفى العالمى الذى عقد فى دورته الأولى فى الأربعينات لثلاثة أيام . ومع كل هذا لم يقبل منسيخة الطرق الصوفية ، ولاعضوية مجلسها الأعلى إثارةً لحريته فى دعوة الإصلاح الصوفى والمذهبى وغيره ، ووقوفاً مع رأيه الخاص فى كل ذلك .

* * *

(٧)

وكل ذلك بالتعاون الكامل ، مع شقيقه ونائبه وأمين سره ورفيق جهاده : العارف بالله السيد محمد وهبى إبراهيم (رحمه الله تعالى رحمة واسعة) حامل نوط الامتياز الذهبى ، ومسئول إدارة العشيرة والطريقة بجميع الأنشطة والمؤسسات المحمدية بالمدن والأقاليم ، وبمشاركة العارف بالله السيد أبى التقى أحمد خليل رحمته ، وتقبل منهم جميعاً ورحم الله أخانا السيد أبى التقى ورفع درجته عنده .



(٨)

هذا وقد قطع شيخنا مدارج السلوك الصوفى وأتم مسيرة (الأسماء السبعة) ثم (الثلاث عشرة) ثم (التسعة والتسعين) حتى انتهى إلى (الاسم المفرد والأعظم) ودخل الخلوة الصغرى والكبرى مرات ، ومارس العلوم الفلكية والروحية ، وأجرى الله على يديه الكرامات ، وتلمذ عليه كبار القوم والسادة من الشباب والعلماء والأدباء ، وقد أسلم على يديه عدد من القساوسة والشمامسة وغيرهم ، وزارته الوفود (ولا تزال) والشخصيات الكبرى من أطراف الوطن الإسلامى . فهو عَلم الصوفية ومفتيهم وقطب وقته ومجدد عصره ، لا محالة ، وقد لاقى فى سبيل دعوته ما لا يوصف من أنواع الأذى البالغ مادياً وأدبياً ، وهو سعيد مستمر صامد ، حتى يلقى الله مجاهداً راضياً مَرْضِياً إن شاء الله .

وقد ألزمته الأمراض الاعتكافَ عدة سنين ، ولكنه لم يفتر قط عن كافة أنشطة الدعوة بكل مشاقها وتضحياتها الكبرى بكل ما بقى له من جهد وطاقة فى الله فى مرضه الدائم الطويل منذ سنين . وكما عانى من أعداء الصوفية بما لم يخطر على بال ، كذلك عانى من أعداء التصوف ، حتى رفع الأمر الى مجلس الدولة فحكم له لأول مرة فى التاريخ الصوفى الرسمى ، بالإضافة إلى ما ينظره القضاء العادى فيما بينه . وبين التمسيلفة سواء منهم الحمقى أو

المأجورين ، مما تدخل فيه الأزهر الشريف ، وبعض كبار الرجال ، والله أشد
بأساً وأشد تنكيلاً .

نفعنا الله به وبعلمه وربانته ، ووفّقنا إلى الاقتداء به والثبات على
طريقته ، وخدمة دعوته بفضله تعالى ونعمته . ونستغفر الله ونتوب إليه .

صدر عن

أمانة الدعوة بالطريقة والعشيرة المحمدية
بمسجد المشايخ بقايتباى بالقاهرة

النَّابِغَةُ وَاللُّؤْلُؤَةُ

أسئلة جريدة التعاون

* * *

بسم الله وبحمده

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

كانت جريدة (التعاون) قد طلبت منى الرد عن أهم ما يوجه اليوم إلى التصوف من شبهة واتهامات ، وكنت قد اعتذرت ؛ لعدم جدوى البيان مع خصوم التصوف ، ولأسباب أخرى .

ثم إن بعض الأحياب عاد فرجا منى الرد لأسباب اقتنعتُ بها ، فكان ما يأتى . وقد نشرته (التعاون) ومجلات أخرى ، وكان مندوب التعاون هو الصحافى المعروف الأستاذ « كمال فرغلى » .

وقد سجلنا هنا الأسئلة والردود عليها

إثباتاً للحق المعتدى عليه ، وإرضاءً للحق تبارك وتعالى .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم لا بد منه

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

أرجو أن يكون في ذكرنا ، أن هذه الإجابات ، إنما هي إشارات إجمالية إلى أصول الأدلة ، وأنا نعلم - مقدماً - أن أحد الفريقين لن يدع مذهبه كأثر لهذه المناقشة ، فلقد طالما تكررت هذه الملاحم من قبل ، واتخذت صوراً شتى من العنف والمهاترة ، والانتصار للمذهب على علاته ، وقلماً كان للإنصاف العلمى نصيب فى هذه الملاحم ، بل قلما كان للإنصاف الخُلُقَى ، وضبط النفس ، والاحتياط ، وعفة الكلمة ، وأدب المناظرة ، والخوف من الله أيضاً أى نصيب .

ولا أحسبنا نضيف جديداً ، ما لم نعتصم بمعالى الأمور وندع سفسافها ، ونستنزّه عن دعوى احتكار الصواب ، وافترض الخطأ (وجوباً) فى كل قضية تخالف مذهب المتحدث أو الكاتب ، وبخاصة فى هذه الفروع التى هى - بالطبع والشرع - محل اجتهاد ، تستوجب ماهيته الخلاف ، كاقترضاء ذاتى لهذه الماهية ، مستقطباً أسبابه العلمية ، والشخصية ، والبيئية والاجتماعية العامة من كل باحث .

ثم يا ليتنا نتعلم أدب المناظرة الشريفة ، من قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾^(١) ثم قوله : ﴿ وليلتطف ﴾^(٢) .
وقوله : ﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾^(٣) . . .

(١) سورة سبأ : الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الكهف : الآية : ١٩ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

وكلُّ ما نرجوه من إجاباتنا هذه ، هو محاولة تصحيح بعض المفاهيم ، وتوضيح بعض الدلالات ، حتى يتبين عذر الاعتصام بالمذهب ، فيكون من وراء ذلك : جوُّ صحى ، صالح للتقريب بين الآراء ، والتعاون على البر والتقوى ، ومحاولة جمع صفوف الأمة على المتفق عليه : فعلاً أو تركاً ، والنصح المهذب فيما وراء ذلك ابتغاء رضوان الله ؛ فإن القول بجمع الأمة على قول واحد فى الفروع - فوق أنه مخالف للطبع والشرع - هو بما لا يمكن تحقيقه ، لا باللسان ، ولا بالسنان ، فالوقوف عنده عبث يُضحك ويُكفى فى وقت واحد ، وبين يدينا رأى مالك مع الخليفة العباسى ، حين أراد الخليفة جمع الناس على (موطأ مالك) فأبى مالك ذلك ؛ لأنه مخالف للشرع والوضع^(١) .

كما أن محاولة نقل أحكام الأصول إلى أحكام الفروع ، عبث يُكفى ويُحزن ، علمياً ، وخلقياً ، فقد كان هذا - وسيبقى - من أنكد أسباب تمزيق جماعة المسلمين باسم الإسلام ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

محمد زكى ابراهيم

(١) لما حج المنصور قال لمالك : قد عزمتُ على أن أمر بكتبتك هذه التى صنفتها فتُنسخ ، ثم أبعث فى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وأمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره .

فقال : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ؛ فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل ، وسمعوا احاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، وأثروا به من اختلاف الناس . فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم . ويحكى نسبة هذه القصة إلى هارون الرشيد ، وأنه شاور مالكا فى أن يعلق الموطأ فى الكعبة ، ويحمل الناس على ما فيه ، فقال : لا تفعل ؛ فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان ، وكل سنة مضت ؛ قال : وفقك الله يا أبا عبد الله . (من شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ص ٢٩ ، ٣٠) .

السؤال الأول

- (أ) ما هو المقصود بالتصوف الإسلامى ؟
(ب) وهل مُورسَ هذا التصوف فى عهد رسول الله ﷺ ؟
(ج) ولماذا يختلفون فى تعريف التصوف ؟
(د) ولماذا يختلفون فى تحديد مصادره ؟

* * *

الجواب :

(أ) المقصود بالتصوف الإسلامى ، يعرف من تعريفاته الكثيرة :
التي تتلخص كلها فى أن :

« التصوف هو : « التخلّى عَنْ كل دَنِي ، والتحلّى بكل سَنِي »
سلوكًا إلى مراتب القرب والوصول ، فهو إعادة بناء الإنسان ، وربطه
بمولاه فى كل فكر ، وقول ، وعمل ، ونية ، وفى كل موقع من مواقع
الإنسانية فى الحياة العامة » .

ويمكن تلخيص هذا التعريف فى كلمة واحدة ، هي : (التقوى)
فى أرقى مستوياتها الحسية ، والمعنوية .

فالتقوى عقيدةٌ ، وخلقٌ ، فهى معاملة الله بحسن العبادة ، ومعاملة
العباد بحسن الخلق ، وهذا الاعتبار هو ما نزل به الوحي على كل نبي ،
وعليه تدور حقوق الإنسانية الرفيعة فى الإسلام .

وروح التقوى هو (التزكى) و ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾^(١) . و ﴿ قد
أفلح من زكاها ﴾^(٢) .

(ب) وبهذا المعنى تستطيع أن تستيقن بأن التصوف قد مُورسَ فعلاً
فى العهد النبوى ، والصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم .

(١) سورة الأعلى ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الشمس ، الآية : ٩ .

وقد امتاز التصوف مثلاً بالدعوة ، والجهاد ، والخلق ، والذكر ، والفكر ، والزهد فى الفضول ، وكلها من مكونات التقوى (أو التزكى) وبهذا يكون التصوف مما جاء به الوحى ، ومما نزل به القرآن ، ومما حث عليه السنة ، فهو مقام (الإحسان) فيها ، كما أنه مقام التقوى فى القرآن ، والتزكى فى القرآن والإحسان فى الحديث : مقام الربانية الإسلامية ، يقول تعالى : ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ (١) .

هذا هو التصوف الذى نعرفه، فإذا كان هناك تصوف يخالف ذلك ، فلا شأن لنا به ، ووزره على أهله ، ونحن لا نسأل عنهم فـ « كل امرئ بما كسب رهين » والتمصوف شئ ، والصوفى شئ آخر .

(ج) أما الاختلاف فى تعريف التصوف ، فهو راجع إلى منازل الرجال فى معارج السلوك ؛ فكل واحد منهم ترجم إحساسه فى مقامه ، وهو لا يعارض أبداً مقام سواه ؛ فإن الحقيقة واحدة ، وهى كالبستان الجامع ، كل سالك وقف تحت شجرة منه فوصفها ، ولم يقل إنه ليس بالبستان شجر سواها . ومهما اختلفت التعريفات ، فإنها تلتقى عند رتبة من التزكى والتقوى : أى الربانية الإسلامية ، أى (التصوف) على طريق الهجرة إلى الله ﴿ ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾ (٢) . وقال : ﴿ إنى مهاجر إلى ربى ﴾ (٣) .

فالواقع أنها جميعاً تعريف واحد ، يكمل بعضه بعضاً .

(د) أما الاختلاف فى تحديد مصادر التصوف ، فديسيئة من دسائس أعداء الله ؛ فالتصوف كما قدمنا « ربانية الإسلام » ، فهو عبادة ، وخلق ، ودعوة ، واحتياط ، وأخذ بالعزائم ، واعتصام بالقيم الرفيعة ، فمن ذا الذى يقول : إن هذه المعانى ليست من صميم الإسلام ؟

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٦ .

إنها مغالطات ، أو أغاليط ، نظروا فيها إلى هذا الركام للدخول على
التصوف من المذاهب الشاذة ، أو الضالة ، ولم ينظروا إلى حقيقة
التصوف .

والحكم على الشيء بالمدخول عليه : غلطٌ ، أو مغالطة .
والحكم على المجموع بتصرف أفراد انتسبوا إليه صدقاً أو كذباً : ظلم
مبين .

وهل من المعقول أن يترك المسلمون إسلامهم مثلاً لشذوذ طائفة منهم
تشرّب الخمر ، أو تمارس الزنا ، أو تحلّل ما حرّم الله ؟
وهل عمل هؤلاء يكون دليلاً على أن الإسلام ليس من عند
الله ؟! . . . شيئاً من التدبر أيها الناس !!!

* * *

السؤال الثاني

(أ) من هو الصوفي؟

(ب) وبماذا يمتاز عن عامة المسلمين؟

(ج) وهل هناك فرق بينه وبين التقى ، أو المؤمن ، أو المسلم ، أو الصديق؟

(د) وإذا لم يكن هناك فرق ، فلماذا الإصرار على استخدام الاصطلاح؟

الجواب :

(أ) تستطيع أن تعرف الصوفي الحق ، بأنه المسلم النموذجي ، فقد أجمع كافة أئمة التصوف على أن التصوف هو الكتاب والسنة ، في نقاء وسماحة واحتياط ، وشرطه أئمة التصوف في مرديهم أخذاً من قوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾^(١) كما قدمنا .

والعلم هنا هو أولاً : علم الدين بدعامتيه « الكتاب والسنة » ، ثم هما بدورهما منبع كل علم إنساني نافع ، على مستوى كافة الحضارات ، وتقدم البشرية ، ومقتضى تطور الحياة .

فالتصوف إذن هو : ربانية الإسلام الجامعة للدين والدنيا^(٢) .

ومن هنا جاء قول أئمة التصوف ، وفي مقدمتهم (الجنيد) : « من

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

(٢) قال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي رحمه الله تعالى : « إن الصوفي من يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ، ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستتر ما ينبغي أن يستتر ، ويظهر ما ينبغي أن يظهر ، ويأتي بالأمور من مواضعها بحضور عقل ، وصحة توحيد ، وكمال معرفة ، ورعاية صدق وإخلاص » .

﴿ راجع الخطط التوفيقية لـ « على باشا مبارك رحمه الله تعالى ج ١ ص ٩٠ طبع المطبعة الأميرية سنة ١٣٠٥ هـ .

لم يحصل علوم القرآن والحديث ، فليس بصوفى » ، وأجمع على ذلك كل أئمة التصوف ، من قبل ومن بعد ، وتستطيع مراجعة نصوص أقوالهم عند القشيري ، والشعراني ، ومن بينهما ، ومن بعدهما .

(ب) أما الامتياز عن عامة المسلمين ؛ فالقاعدة الإسلامية هنا هي العمل ؛ فإذا عمل الصوفى بمقتضى ما يتعين عليه كقدوة وداعية ، امتاز بمقدار جهده ، شأن كل متخصص ، وإلا فهو دون كل الناس ، إذا انحرف أو شذ ، بل إن تجاوز .

فالصوفية يجعلون خلاف الأولى في مرتبة الحرام اتقاءً للشبهات ، واستبراءً للعرض والدين^(١) ، وهم يعرفون كيف أن السلف كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال : خوف الوقوع في الحرام^(٢) ، فهم يؤمنون بهذا ، ويحاولون العمل به .

والله تعالى يقول : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾^(٣) فالعمل هو أساس الامتياز .

(ج) أما مسألة الفرق بين الصوفى ، والمسلم ، والمؤمن ، والتقى : فإن الإسلام شرع لنا تعريف الناس بخصائصهم ، وذكرهم بما يميزهم عن غيرهم ، وقد ذكر الله المهاجرين والأنصار بخصيصةهم : تعريقاً لهم ، وهم مسلمون مؤمنون أتقياء ، وذكر رسول الله ﷺ بلالاً الحبشى ، وصهيباً الرومى ، وسلمان الفارسى بما يميزهم من الألقاب ، وهم مسلمون مؤمنون أتقياء .

(١) ومن نصوص الحديث - كما فى الفتح الكبير - قوله ﷺ :

« الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

{ رواه الأربعة ، والبخارى ومسلم } .

(٢) هو من كلام سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ١٩ .

وذكر القرآن من المسلمين أصنافاً : الخاشعين ، والقانتين ، والتائبين ،
والمصدقين ، والعاбدين ، والحامدين ، والسائحين وغيرهم ، وكلهم من
أهل « لا إله إلا الله » .

ر. إذن ، فذكر إنسان بخصيصة عُرف بها عند الناس ، سنة قرآنية
ونبوية ، وما دامت هذه الطائفة ، قد عُرفت باسم الصوفية لسبب أو
لآخر ، فليس بدعاً أن تُدعى بهذا الاسم .

ثم لماذا كل هذه الزوبعة هنا، ولا تكون زوبعة حين يقال (سلفية)؟!
أو « أزهرية » ، أو « وهابية » ، أو « شافعية » ، أو « مالكية » ، أو
« حنبلية »؟! وهل كان فيما مضى (جمعية كذا ، أو جماعة كذا) ؟
أرأيتَ أن الأمر كان أهون من أن يكون سؤالاً ، لولا المذهبية
الدمرة ، والتعصب الموبق؟!

* * *

السؤال الثالث

ما رأيكم فيما يوجه للتصوف من اتهام بأنه يعود في أصوله الأولى إلى البوذية؟ والمجوسية؟ والرهبانية... الخ؟

الجواب:

قدّمتُ أن التصوف الإسلامي ، هو الربانية ، فهو : إيمان وعمل ، وعبادة ، ودعوة ، وأخلاق ، وبر مطلق . وهو إرادة وجه الله في كل قول أو عمل ، أو نية ، أو فكر ، دنيوي أو أخروي ، وهو التسامى بالبشرية إلى مستوى الإنسانية الرفيعة ، فهو وحى من الوحي ، وهو الدين كل الدين ؛ لأنه بهذا الوصف (طلب الكمال) ، وطلب الكمال فرض عين ، وهو علاج لأمراض النفوس ، وما من إنسان إلا وهو مبتلى بجانب - قلّ أو أكثر - من النقص الذي نسميه: مرض النفس ، أو الخلق ، وإنما جاءت رسالات السماء كلها لعلاج هذه الأمراض النفسية والخلقية أول ما تعالج في بنى آدم .

ولما كان التصوف قد تخصص في هذا الجانب ، كان طلبه فرضاً شرعياً ، وعقلياً ، وإنسانياً ، واجتماعياً ، حتى يوجد الإنسان السوي الذي به تتسامى الحياة ، وتتحقق خلافة الله على أرضه ، وينتشر الحب والسماحة بين الناس ، وتأخذ الحضارة والتقدمية روحهما الإيماني المحقق لمراد الله .

وأدلة ذلك جميعاً مما لا يغيب عن صغار طلبة العلم ، ومما تزخر به علوم الكتاب والسنة .

ولا أعرف أن الكتاب والسنة نقلًا عن المجوسية ، والبوذية والرهبانية شيئاً أبداً ، وإنما هو الغل للمورث للثهم الكواذب ، وتضليل خلق الله .

أما إذا كان المراد بالتصوف في السؤال ، هو هذه الفلسفات الأجنبية عن العقيدة والشريعة ، فهذا باب آخر ، لا علاقة له بتصوف أهل القبلة ، والاحتجاج بهؤلاء علينا فيه تلبيس الحق بالباطل ، ثم إن أخذ البريء بذنب المجرم : فعلة دنيئة .

على أن الذين اشتهروا بهذا الجانب الفلسفي ، ممن يُنسَبون إلى التصوف ، عدد محدود ، قد لا يجاوز العشرة ، وسواء قبلت فلسفتهم التأويل والتوجيه - ولو من وجه ضعيف - أو لم تقبل ، فهؤلاء ، قد انتهى أمرهم نهائياً ، وليس لفلسفتهم اليوم معتقد ، ولا دارس . وقد أصبحت كتبهم بما فيها من الأفكار أشبه بنواويس الموتى : تُعرض - إذا عُرضت - للزينة ، أو التاريخ والعبرة ، فليس بين صوفية عصرنا من يرى رأيهم ، أو يذهب مذهبهم ، سواء على ظاهره ، أو مع تأويله .

وأين فكر الجماهير من العمال والفلاحين ، وأنصاف المتعلمين ، أو حتى كبار المثقفين ، من كتب هؤلاء والغازهم وأحاجيهم !؟

هذا إذا أمكن الحصول على الكتب وعلى الوقت ، وليس الأمر كذلك ، ولا شك أن الوقوف عند هذا الجانب في هذا العصر : نوع من البحث الأثري ، عن الحفريات المجهولة ، في سرايب الرموس والأجداث : عصبية وحمية .

والغاضبون على التصوف جميعاً يحتجون بهؤلاء ، وقد انتهى أمر هؤلاء ، فقد كانت مذاهبهم شخصية ، لا تجد طريقها إلى الجماهير ، لحاجتها إلى استعدادات وقابليات ومدارك ، ومنطق لا يوافق لدى الكافة ومؤاخذة الخلف بفعل السلف - لو سلّمنا جدلاً بأنهم سلف - أمر بعيد عن العلم والعدل .

والحكم على الكل بذنب البعض - لو سلّمنا بهذه البعضية - أمر بعيد عن العلم والعدل .

ولو أن إخواننا (خصوم التصوف) نظروا إلى الواقع الفعلي . فكافحوا معنا منكرات العصر ومبتدعاته ، من نحو : الطبل ، والزمر ، والرقص ، وتحريف أسماء الله ، وغير ذلك من منابر المواد ، والتجمعات العامة ، وأخذوا طريق التعاون بالحسنى ، والدعوة بالحكمة ، لكان هذا أدنى إلى الصواب وأهدى سبيلاً ، عند الله والناس .

أما حملتهم على هؤلاء الموتى ، ممن جنحوا إلى الفلسفة ، فاستشاد على الرمم ، وصيال في غير مجال ، ومبارزة مع الهواء

الطلق ؛ فهؤلاء الموتى ، ما يملكون الدفع عن أنفسهم ، وليس من وراثهم وارث يدافع عنهم ، إلا - إذا وُجد - لمجرد التصويب وإحسان الظن بأهل القبلة ، أو هو لمجرد الثقافة والتاريخ .

وهنا أقرر بملء الثقة واليقين ، أن كل ما جاء منسوباً إلى التصوف مما يخالف الكتاب والسنة ، مهما كان مصدره ، فليس - فيما نرى - من ثمرة الإسلام بوصفه مقام (الإحسان) الذي سجله الحديث النبوي المشهور ، كما قدمنا ، وهو في تساميه أبعد من لهو الفلسفة وعبثها ، وإن تأولت .

* * *

السؤال الرابع

ثابت أن المسلمين لم يعرفوا التصوف ، إلا بعد ثلاثة قرون من انتشار الإسلام .

(أ) فهل يحتاج الإسلام إلى التصوف ؟

(ب) هل التصوف يضيف جديداً إلى الإسلام ؟

(ج) وما هو الفرق بين الزهد الإسلامي والتصوف ؟

الجواب :

من الذى قال بأن المسلمين لم يعرفوا التصوف إلا بعد القرون الثلاثة الأولى ؟

هذه مجازفة : ليست بعلمية ، ولا تاريخية ، وليس لها سند ، فإذا كان المراد بأنهم لم يعرفوا لفظ التصوف إلا بعد القرون الثلاثة ، فليس هذا بصحيح أيضاً^(١) ، فقد أثبت مؤرخو اللغة وغيرهم أن هذا اللفظ كان

(١) هذا الذى قالوه : إنما هو من كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ؛ قال فى كتابه «الصوفية والفقراء» :

« الحمد لله ، أما لفظ الصوفية ، فإنه لم يكن مشهوراً فى القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك .

وقد نُقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل ، وأبى سليمان الداراني ، وغيرهما .

وقد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به ، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى

وتنازعوا فى المعنى الذى أضيف إليه الصوفى ؛ فإنه من أسماء النَّسَب كالقرشى ، والمدنى ، وأمثال ذلك ، فقيل : إنه نسبة إلى أهل الصَّفَّة ، وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقيل : صَفِّي .

وقيل : إنه نسبة إلى الصفِّ المقدم بين يدى الله ، وهو أيضاً غلط ؛ فإنه لو كان كذلك لقيل : صَفِّي .

وقيل : نسبة إلى صوفة بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ، ينسب إليهم النَّسَاك ؛ إلى آخر ما قال .

عندما اشتهروا بالخشونة والرجولة ، ولبس الصوف، والاستعداد للجهاد ، فإن تصوف المسلمين : دعوة إلى القوة ، والحرية ، والمساواة، والتكافل ، والإخاء ، والتوحيد ، ومعالي الأمور ، لبناء شخصية المسلم المتكامل ، وكان عهد التدوين قد بدأ بمن كتب الحديث في عهد رسول الله ﷺ ، وظل ينمو حتى ازدهر في أواخر القرن الأول ، وأوائل الثاني ، بتحرير الحديث ، والفقه ، والتفسير ، واللغة ، وما إلى ذلك^(١) .

أما إذا كان المراد بأن مادة التصوف وحقيقته وأصوله وموضوعه لم تُعرف إلا بعد هذه المدة ، فالخطأ هنا يستحيل إلى خطيئة ؛ فمادة التصوف من حيث العبادة ، والخلق - على أوسع معاني العبادة والخلق - موجودة مشهودة في الكتاب والسنة ، شأن بقية مواد علوم الدين ، فإذا لم يكن لفظ (التصوف) موجوداً في هذا العهد ، فقد كانت العبادات والأخلاق ، وتربية النفس ، ووسائل العلاقة بالله ، والارتفاع بإنسانية الإنسان ، كل هذه مسجلة في دين الله ، وهي التصوف (سماه الناس كذلك) فالاسم حادث ، والمادة قديمة بقدم الكتاب والسنة ، شأن بقية علوم الدين سواء بسواء .

ولم يكن هذا بدعاً ؛ فلم يكن في هذا العهد علم باسم (الفقه) ولا باسم (الأصول) ولا باسم (مصطلح الحديث) ، ولا غير ذلك من علوم الدين ، ولكن المادة كانت موجودة بين دفتي الكتاب والسنة . فلما دُوِّنت العلوم ، ورُسِّمت القواعد والمصطلحات ، أُطلقت الأسماء حسبما رجحته الظروف الواقعية آنذاك .

وقال أيضا بعد كلام :

« . . . والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله ، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ؛ ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين . . . » إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى ، فراجعه هناك .

(١) راجع مقالنا عن الحديث النبوي في مجلة المسلم (عددي شعبان ورمضان)

سنة ١٣٩٨ هجرية وما بعدها .

وإذن ، فلماذا ننكر تسمية التصوف ، ولا ننكر تسمية بقية علوم الدين ، والشأن واحد ؟!

ثم لماذا ننكر تسمية (التصوف) ولا ننكر تسمية (التسلف) ؟ .
مزيد بيان عن كلمة التصوف :

في « لسان العرب » لابن منظور يقول : « الصوف : للضأن ، والصوفة أخص . . . ثم قال : والصوفة : كل من ولى شيئاً من عمل البيت الحرام وهم الصوفان . . . وصوفة : أبو حنيفة من مضر ، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ، وهي أعظم ما يولى يومئذ » . . . ثم قال : « وصوفة حنيفة من تميم كانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى فيكونون أول من يدفع . يقال في الحج : أجزى صوفة . . . » .

وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي : « أنبأنا محمد بن ناصر ، عن أبي إسحق إبراهيم بن سعد الحبال ، قال : قال أبو محمد بن سعيد الحافظ ، سألت وليد بن القاسم : إلى أى شيء ينسب الصوفى ؟ فقال : كان قوم على دين إبراهيم في الجاهلية يقال لهم : صوفة ، انقطعوا إلى الله عز وجل ، وقطنوا الكعبة ، فمن شبه بهم فهم الصوفية . »

ثم قال : فهؤلاء المعروفون بصوفة ، ولد الغوث بن مر ، بن أخى

تميم

وفي المعجم الوسيط : « صَوْفٌ فلانٌ : جعله من الصوفية ، و« تصوف فلان » صار من الصوفية . « والتصوف » طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلّى بالفضائل ، لتزكو النفس وتسمو الروح . « وعلم التصوف » مجموعة المبادئ التى يعتمدها المتصوفة ، والآداب التى يتأدبون بها فى مجتمعاتهم وخلواتهم . و « الصوفى » من يتبع طريقة التصوف . »

وهكذا يتأكد : أن كلمة التصوف عربية قديمة ، فى لغة العرب ، فمن أرجعها إلى (سوفيا) اليونانية ، فقد جهل وانحرف ، وقلد العميان ، ومن ادعى أنها بدعة محدثة ، كان أشد جهلاً وانحرافاً ؛ فالتصوف أخلاق ، وعبادة ، ودعوة ، وجهاد ، وسلوك ، فهو وحى من الوحي ، ودين من الدين .

إن كلمة صوفى بعيدة كل البعد - من حيث المعنى والمبنى - عن التأثر باليونان ؛ فقد عرفت واستعملت قبل نهاية القرن الثانى الهجرى ، حين أطلقت على أبى هاشم الكوفى (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) ، وإن هذا النوع من التصوف وليد لحركة الإسلام ذاته ، وإن العرب استمدوا أول علمهم بفلسفة أرسطوطاليس ، من شراح الأفلاطونية الحديثة ، وليس كتاب « أثولوجيا أرسطوطاليس » الذى نقل إلى العربية حوالى ٨٤٠ م إلا ملخصاً لمذهب الأفلاطونية الحديثة .

ويؤيد هذا الاتجاه المحقق من واقع التاريخ « عباس محمود العقاد » فى كتابه « الفلسفة القرآنية » حيث يقول : « لكن التصوف فى الحقيقة غير دخيل فى العقيدة الإسلامية ؛ لأنه - كما قلنا فى كتابنا - « أثر العرب فى الحضارة الأوربية » : مبثوث فى آيات القرآن الكريم ، مستكن بأصوله فى عقائده الصريحة . فالمسلم يقرأ فى كتابه أن : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾^(١) فيقرأ خلاصة العلم الذى يعلمه دارس الحكمة الإلهية ، ويقرأ فى كتابه ﴿ ففرؤا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾^(٢) فيعلم ما يعلمه تلاميذ المتصوفة البوذيين حين يؤمنون بأن ملابسة العالم تكدر سعادة الروح ، وأن الفرار منه ، أو الفرار إلى الله : هو باب النجاة فالمسلم : الذى يقرأ هذه الآيات - وهو مطبوع على التصوف والبحث عن خفايا الآثار ودقائق الحكمة .

(ب) أما : هل الإسلام يحتاج إلى التصوف ؟ فإذا كان الشيء يحتاج إلى نفسه ، جاز أن يقال : إن الإسلام يحتاج إلى التصوف .

الإسلام انقياد ظاهرى ، لا يتم إلا بالانقياد الباطنى ، وإلا كان نفاقاً . والانقياد الباطنى هو : الإيمان بوصفه عملاً من أعمال القلب ، التى نسميها « التصوف » ، فليس التصوف شيئاً غير الإسلام ، حتى يقال : إنه يحتاج إليه ، أو يستغنى عنه ، إنما التصوف هو ذروة الدين كله ، مقام « الإحسان » : التقوى ، والتزكية ، والريانية ، كما قدمنا ، فهو الغاية والثمره التى لا تتاح إلا لسالك مُريد موفّق ذوّاق .

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ . (٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

وهكذا نجد : أن السؤال الذي يقول : هل التصوف يضيف جديداً إلى الإسلام سؤال غير وارد ، والإجابة عليه واضحة في الرد على الشطر السابق .

أين هذا السؤال من قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (١) .

إن التصوف الحق هو : الإسلام في أعلى مستوياته .

ومن أعجب العجب من بعضهم أن يكتب أنه يقبل أوصاف الشكر ، والصبر ، والورع ، والزهد ، والذكر ، والفكر ، من كتب المتسلفة ، ولا يقبلها من كتب المتصوفة ، تعصبا وغلا للذين آمنوا .

أما الفرق بينه وبين الزهد الإسلامي : فإن الصوفى أكبر من زاهد ؛ لأن الزاهد إنما يزهد في الدنيا ، وهي لا شيء ، فالزهد في الدنيا زهد في لا شيء ، والزاهد في (لا شيء) غافل أو جاهل ، لكن زهد الصوفى منصب على كل ما يُبعده عن الله ، على أى وضع يكون ، أما كل ما يُذكره بالله (ولو المال) فليس هو بزاهد فيه .

دخل صوفى على أحد الخلفاء ، فحدثه ، فأجازه الخليفة بما لم يكافئ بمثله أحداً قبله . فاعتذر الصوفى عن قبول عطية الخليفة ، فاندحش الخليفة قائلاً له : ما أزهك !! قال الصوفى : بل أنت أزهد منى يا أمير المؤمنين .

قال : كيف ؟

قال : لأننى أزهد في الدنيا ، وهى لا شيء ، وأنت ترزهد في الآخرة ، وهى كل شيء (٢) .

الزهد عند الصوفية : أن تكون الدنيا في يده ، لا فى قلبه ؛ لأن الزاهد (غير الصوفى) تاجر ، يحرم نفسه من متع الدنيا ، ليعوضها أضعافاً فى الآخرة ، ولا كذلك الصوفى الذى لا يحرم نفسه متعة أهلها الله ، إلا إذا حجبتة عن الله .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ . (٢) وهو نوع من التبكيت الواضح

وهذا أبو الحسن الشاذلي رحمته الله ، كان صاحب تجارات ومزارع ،
وهذا شمس الدين الدمياطي ، كان تاجراً من أثري علماء الصوفية ،
وهو الذي بنى برج دمياط من ماله الخاص في عهد السلطان الغوري ،
وهذا الليث بن سعد ، فقيه مصر ، وإمام زهادها ، كان أثري أهل
عصره . ولم تمنع هؤلاء أموالهم أن يكونوا أزهد الناس في الدنيا إذا
شغلتهم عن الله . ولكنها لم تشغلهم بعد ، بل كانت طريقهم إليه عز
وجل !!

وهكذا يتضح أن سحق الشخصية بالزهد المادي ، والتبتل البشري
ما لا تعرفه قوانين التصوف الإسلامي .

وقد كان من أعيان الزاهدين من الصحابة : بلال ، وسلمان ،
وأبو ذر ، وتميم الداري ، أول من جلس في مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم
أيام عمر يذكر الناس بالله في يوم الجمعة

فإنما الزهد في حدّه المحدود ، مما جاء عن كثير من الصحابة
والتابعين وتابعيهم كما أسلفنا .

وفي صدر هؤلاء جميعاً زُهدُ (العمرين) ابن الخطاب ، وابن عبد
العزیز بعد سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم ؛ فقد كانت الدنيا في أيديهم ، ولم
تكن في قلوبهم ، فاستغنوا برب الدنيا عن الدنيا وما فيها ومن فيها .
إن الذي يملك ، هو الذي يزهدُّ ، أما الذي لا يملك ، ففي أي
شيء يزهد ؟!

* * *

السؤال الخامس

بم تعلق فضيلتكم كون شيوخ التصوف من الفرس ، وأحفاد
المجوس ، في العصر الإسلامي ؟

وكيف تعلق ازدهار التصوف في القرن السابع ، وما بعده بين
العرب ، والمنتسبين إلى رسول الله ﷺ ؟

الجواب :

ليتك يا ولدي لم توجه إلى هذا السؤال العنصرى ، الذى لا يرضاه
الله ولا رسوله ، أو لم تقرأ قوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله
أتقاكم ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (٢) وقوله ﷺ : « لا
فضل لأبيض على أحمر ، ولا لعربى على عجمى إلا بالتقوى » (٣) وقوله
ﷺ : « إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية ، وفخرها بالأباء ؛ مؤمن
تقى ، وفاجر شقى ، أنتم لآدم ، وآدم من تراب » (٤) وقوله ﷺ ،
وقد تمعر وجهه غضباً : « ليدعن أقوامٌ فخرهم بأقوامٍ إنما هم حطب من
حطب جهنم ، أو ليكوننَّ أهونَ على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها
النتن » (٥).

ألم يأتك أن سيدنا رسول الله ﷺ أخلق به سيدنا سلمان
الفارسى ، فقال : « سلمان من أهل البيت » ، ألم يرسل الله رسوله
للناس كافة بشيراً ونذيراً ؟!
إنها حمية الجاهلية ، يرددها ببيغاوات البشر ، بلا تدبذ ، ولا بينة ،

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ . (٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٠ .

(٣) وفى رواية ذكرها ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله
أتقاكم ﴾ : « يا أيها الناس ، وإن الله تعالى قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتعظمها بأبائها .
فالناس رجLAN : رجل يرتقى كريم على الله ، ورجل فاجر شقى هين على الله »
إلى آخر الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم .

(٤ ، ٥) ومن نصوصه : « ليتتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم
جهنم ، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخراء بأنفه . إن الله أذهب
عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالأباء ؛ إنما هو مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، الناس كلهم
بنو آدم ، وآدم خلق من تراب » رواه الترمذى .

وهل جاء الإسلام للعرب وحدهم ، فاغتصبه منهم غيرهم ، فأصبحوا
منبوذين ؟!

لم هذه الشعوبية ، والعنصرية الكريهة ، التي ينكرها الإسلام ،
وتنكرها الإنسانية الشريفة ؟!

أليس الإمام البخارى ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ،
والطبرانى ، والبيهقى ، والاكثرية الغالبة من رجال الحديث ، كلهم من
غير العرب ، وكذلك طائفة من أكبر المفسرين ، كالزمخشري ،
والنيسابورى ، وطائفة من أكبر علماء البلاغة ، كالجرجاني ، والتفتازاني ؟!

من هو طارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، هذان الموليّان القائدان
الفاتحان ، اللذان أسسا للإسلام مجدداً تاريخياً ، لا يحويه الزمان ؟
من هو أبو حنيفة النعمان ؟ أليس كان من الموالي ، ولولاه ما كان
لبنى تيم الله ذكر ولا فخر^(١) .

يا ولدى : إمام مصر الليثُ بن سعد ، أصله من (أصبهان) ، إمام
أهل السنة ، أحمد بن حنبل ، أصله من (مرو) ، والإمام المفسر الطبرى ،
أصله من (طبرستان) ، والشعبى علامة التابعين وإمامهم ، كانت أمه من
(جلولاء) ، والحسن البصرى ، الكوكب الفرد ، كان أبوه من (ميسان) .
وهذا علامة اللغة سيوييه ، فارسى الأصل ، والإمام الكسائى ،
فخر اللغة العربية ، أصله من فارس ، وتلميذه الإمام القرأء ، من الديلم ،
ثم إن ابن مسكويه ، وابن سينا ، والفارابى ، كانوا فرساً أعجميين .

اسمع يا ولدى . فقيه مكة ، عطاء بن رباح ، وفقيه اليمن طاووس
ابن كيسان ، وفقيه اليمامة : يحيى بن أبى كثير ، وفقيه الشام : مكحول ،
وفقيه الجزيرة : ميمون بن مهران ، وفقيه خراسان : الضحاك بن مزاحم ،
وفقيه البصرة والكوفة : إبراهيم النخعى وابن سيرين ، كل أولئك ليسوا
من العرب أصلاً ، ولكنهم برزوا فى جوانب العلم والفكر والمعرفة
والدين ؛ كانوا الأئمة بكل ما فى اللفظ من معنى يتجدد ولا يفنى .

إنما يتفاضل الناس بالأحلام^(٢) ، لا بالأرحام ، والناس عند الله

(١) أبو حنيفة من الافغان ، قالوا من كابل . (٢) الأحلام : العقول

سواسية كأسنان المشط ، والله يفوق : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ (١) .
ولقد أمر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد (مولاة) على جيش كان فيه
أبو بكر وعمر . وعندما أراد عمر أن يستخلف قال : « لو كان سالم
مولى حذيفة حياً لوليتُهُ !! » .

تأمل هذا الموقف الكبير الخطير .

يا ولدي ، ها هم أهل العلم : لا يكادون يذكرون ابنَ عمر ، الا
ذكروا معه مولاة نافعاً ، ولا يكاد يُذكر أنس بن مالك ، إلا ومعه مولاة
ابن سيرين . ولا يكاد يُذكر ابن عباس ، إلا ومعه مولاة عكرمة . ولا
يكاد يذكر أبو هريرة إلا ومعه مولاة ابن هرمز . وما أكثر هذه الأمثلة في
الإسلام .

لقد أطلتُ عليك - عامداً في هذا المجال - يا ولدي ؛ فإن هذه
الشعوبية هي التي كانت مسمار النعش في وحدة الإسلام ، والتي انتهت
بما يسمى زوراً بـ « النهضة العربية » وهي التي قصمت ظهر الخلافة ،
وشتتت العرب أوزاعاً وشيعاً ودويلات هزيلة متناحرة باسم العروبة ،
والقومية ، التي تُستخدم الآن بلا وعى ولا تدبر .

ولنرجع إلى سؤالك في تعليل كون بعض شيوخ الصوفية الأوائل
من الفرس ؛ فهؤلاء الناس اجتهدوا في هذا الجانب ، كما اجتهد غيرهم
من ذكرنا أسماءهم ، فاستحقوا التقديم والإمامة كمسلمين ، فإذا قيل :
إنهم فعلوا ذلك ليحطموا الإسلام من الداخل ، فهذه قضية ، إذا فرضنا
نهوض دليلها في واحد ، فلن ينهض هذا الدليل في كل واحد . وفي
كل طائفة طيب وخبيث ، والحلال بين والحرام بين ، ولو طبقنا قاعدة
سوء الظن بالفرس ، أو بغير العرب عموماً ، لأذهبنا ثلثي علوم الإسلام ،
ولكان أول ما ننبذه كتاب البخاري ، ومن والاه ، فهل هذا منطوق يقول به
إنسان سوى أو قاض منصف ؟ (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم
عظيم (٢) . . . ؟؟) أو لا يذكرون قوله تعالى : ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى
رجالاً كنا نعدّهم من الأشرار !؟ ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٣٧ . (٢) سورة المطففين : الآية : ٤ ، ٥ .

(٣) سورة : ص ، الآية : ٦٢ .

إن من أحفاد المجوس : من خدم الإسلام أصدق الخدمات فى الثقافات والعلوم ، والفتوحات والفنون . . . وراجع إن شئت من حضرنا ذكرهم وأسلفناه ، ومن ورائهم صف شريف طويل معروف ، لم نُشر إليه ، وهؤلاء شأنهم - بالضبط شأن كبار الصحابة (وقد كانوا - أى الصحابة - من المشركين) .

أما تعليل ازدهار التصوف فى القرن السابع ، وما بعده بين العرب ، والمنسويين بحق أو بباطل إلى رسول الله ﷺ ، فإن هذا السؤال يحتاج إلى تكملة : هى أن هذا الازدهار فى هذا القرن وما قبله ، كان بين العرب وغيرهم ، وكان هذا نتيجة لطبيعة الأشياء ؛ فإن تطور الدعوة الصوفية وامتدادها ، كان قد أهل الكثيرين للزعامة والاجتهاد فى هذا الوقت ، كثمرة للتفاعل ، والتطور فيما سبق هذا الزمان .

فمثلا : نجد من صوفية القرن السابع أمثال أبى الحسن الشاذلى ، وأحمد البدوى . وابن دقيق العيد ، ومجد الدين القشيرى ، وزكى الدين المنذرى . ونجد من قبلهم فى القرن السادس أمثال أحمد الرفاعى ، وأبى مدين . ونجد فى القرن الخامس ، أمثال الغزالى ، وعبد القادر الجيلانى . وفى الثالث والرابع أمثال : الجنيد ، والشبلى ، ومن قبلهم ذو النون المصرى ، وأبو يزيد . ومن قبلهم الحسن البصرى ، وسفيان الثورى ، ومالك بن دينار ، وإبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وشقيق البلخى ، وحاتم الأصم - بكل ما فى تواريخهم من صدق وكذب ، وأصيل ودخيل .

أضف إلى ذلك موضوع التطور والامتداد ، وقابلية البيئة ، بما كان من الحروب الصليبية والتترية والمغولية ، واضطراب عاصمة الخلافة ببغداد ، ومثل هذه الظروف بطبعها تدفع الناس إلى الله تلقائيا ، وقد جربنا نحن أخيرا فى العاشر من رمضان ، فمن أجل هذا وما هو منه ، أو يتعلق به ، كان هذا الازدهار الذى تشير إليه .

* * *

السؤال السادس

من الاتهامات الموجهة إلى التصوف :

(أ) أنه لا سند له من الكتاب والسنة .

(ب) أنه دخيل على الإسلام .

(ج) أنه يدعو إلى عقائد تتعارض مع عقيدة التوحيد ، كالحلول ، والاتحاد والوحدة .

(د) أنه يدعو إلى تقديس المشايخ ، والاستعانة بهم في الشدائد ، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضرر .

(هـ) أنه يدعو إلى التواكل والسلبية .

الجواب :

(أ) أما أن التصوف لا سند له من الكتاب والسنة - فقول ساقط بعد كل ما قدمنا ، فإذا لم يكن التعبد ومكارم الأخلاق ومحاسبة النفس ، والاختذ بالأحوط ، ومجاهدة الهوى والشيطان ، إذا لم يكن كل ذلك له سند من الكتاب والسنة ، فقد جهل الناس الكتاب والسنة ، وفيما قدمنا أدلة مكررة على أن تصوف المسلمين هو عصارة الإسلام وإكسيره ، لا يمتري في ذلك إلا ذو هوى ، أو من هوى !؟

(ب) وبهذا ، وبالذي قدمنا ، يتأكد أن التصوف تابع من العقيدة ، والبيئة الإسلامية جملة وتفصيلا ، وليس هو بدخيل على دين الله ، إنما الدخيل ، هو هذه الدعوى العصبية المتشنجة ، التي تفوح بالفرس ، والمرض ، وحسبك أنها بضاعة استشراقية ، استعمارية صهيونية ، لا هم لها الا انتقاص الإسلام .

(ج) أما أن التصوف يدعو إلى عقائد الحلول والاتحاد والوحدة ، فليس هذا هو تصوف المسلمين ، وإنما هو تصوف أجنبي ، أعجمي ، مدسوس ، والمتهمون به نفر معدود محدود ، انتهى أمرهم ، وليس لهم اليوم تابع ولا وارث ، كما قدمنا ، وأصبح ما نُسب إليهم بحق أو

بباطل، سواء قبل التأويل، أو لم يقبله، نوعاً من الحفريات التاريخية،
التي لا يتابعها إلا الهواة والمتخصصون، إن وجد اليوم هواة ومتخصصون
في البحث عن مقابر الأفكار المهملة، وإلا أصحاب الهوى الذي يُعْمَى
ويصم، ولا اعتبار لأولئك ولا هؤلاء.

وقد أصبح الكلام اليوم في هذا الجانب نوعاً من مجرد الإثارة
والتشويه، والعبث وإضاعة الأوقات، والتشويش على أفاضل الناس،
وشراء العاجلة بالآجلة.

وإنما يقول الصوفية بنوع معين من الفناء، فصله الشيخ ابن تيمية في
(رسائله) بشيء من الإنصاف، وأشار إليه الشيخ ابن القيم في شرحه
على كتاب الهروي^(١)، وشتان ما بين هذا والقول الفاجر بالحلول،
والاتحاد، والوحدة المنكرة.

(د) أما أن التصوف يدعو إلى تقديس المشايخ، والاستعانة بهم في
الشدائد، واعتقاد أنهم يملكون النفع والضرر: فهذا كلام فيه تجاوز
ومغالطة؛ فإن التصوف يدعو إلى احترام الشيخ كوالد روحى، وهو
أدب إسلامي مقرر، لا خلاف عليه. وفي الحديث الصحيح «ليس منا
من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ولم يعرف لعالمنا حقه»^(٢)، ولا
تنس تأديب الله للصحابة مع رسول الله ﷺ، فهو أصل أدب التابع
مع المتبوع^(٣).

أما الاستعانة بدعاء الشيخ، وابتهاله إلى الله في شدائد أبنائه، فهو
أدب إسلامي ثابت، يعرفه كل من قرأ (باب الدعاء) في كتب
المسلمين.

(١) كتاب منازل السائرين لشيخ الإسلام: عبد الله بن محمد بن إسماعيل
الأنصارى الهروى الحنبلى الصوفى المتوفى سنة ٤٨١هـ، شرحه أبو بكر بن قيم الجوزية
الدمشقى الحنبلى المتوفى سنة ٧٥١هـ، وسماه «مدارج السالكين».

(٢) رواه الترمذى عن ابن عمر، وأبو يعلى عن أنس، والعسكرى عن عبادة
ابن الصامت، والقضاعى عن ابن عباس.

راجع كشف الخفا ومزيل الإلباس عن كثير من الأحاديث المشتهرة على السنة
الناس ج ٢ ص ١٧٣. لتستفيد. والمقاصد الحسنة ص ٣٥٦. (٣) راجع سورة الحجرات.

أما أنهم يزعمون أنهم يملكون النفع والضرر ، فالذى يملك ذلك هو الله وحده ، وعندما يغضب الشيخ لربه من مخالف لله فيدعو ، فيغضب الله لغضب وليه ، ويستجيب له ، فلا يقال عندئذ إن الشيخ يملك نفعاً ولا ضرراً ، إنما هو من باب : « لئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه »^(١) من حديث البخارى .
والقول بغير هذا إنما هو مسخٌ للصورة بالمغالاة ، والإغراق والتنفير .

وإذا كان هناك شيء من ذلك (فرضاً جدلياً) فهو مما يعالج بالبيان والإرشاد والقول الطيب ، ونحن فى أمة تحكمها الأمية ، فلا ننكر أن فيها ضلالة وجهالة ، وإنما فى حاجة - أشد الحاجة - إلى النصح والتوجيه بالحكمة البالغة ، والموعظة البليغة .

(هـ) بقى القول بأن التصوف يدعو إلى السلبية والتواكل *

التصوف الحق هو : الإسلام ، وليس فى الإسلام سلبية ، ولا تواكل ، وإنما هى أمراض اجتماعية لصقت بالتصوف زوراً وبهتاناً ، وقد كان عبد الله بن المبارك ، يحج عاماً ويجاهد عاماً ، وقد كان شقيق البلخى فارساً مغوراً ، يطلب الموت حتى استشهد فى سبيل الله ، وكذلك كان حاتم الأصم ، مقاتلاً بارعاً ، له فى الجهاد مواقف وكرامات .
وقدمت أن أبا الحسن الشاذلى كان صاحب مزارع وتجارات ، وأن شمس الدين الدمياطى بنى برج دمياط من ماله الخاص ، ومن ربحه من تجارته .

وإذا تبعت آداب المريدين بكتب الصوفية ، لوجدتهم جميعاً يدفعون تلاميذهم إلى العمل والإنتاج ، ويعرفون تماماً كل ما ورد فى هذا الباب عن النبى ﷺ ، ثم عن أشياخهم فى الله الذين يؤكدون لهم أنه لا

(١) ومن نصوصه ، مارواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : « ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فأكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، وقلبه الذى يعقل به ، فإذا دعانى أجبتُه ، وإذا سألتني أعطيتُه ، وإن استنصرنى نصرته ، وأحبُّ ما تعبَّدنى عبدى به : النصح لى » .

يمكن تحقيق خلافة الله على الأرض بالسلبية والتواكل والاستسلام ، فإذا
تغالى أو تطرفَ واحدٌ ، فليس هو كل واحد .
ولقد ثبت في الحديث أن بعض الصحابة تغالى بأكثر مما يفعل
الرهبان ، والنبي ﷺ حتى ، فنهاهم الرسول ﷺ^(١) ، فإذا انفرد
واحد بمغالاته ، فليس هذا بقانون ولا قاعدة في الجميع ، ولا بعار يؤخذ
به سواه .

نزل أحد المريدين على زاوية الشيخ ضيفاً ، فأقراه ثلاثة أيام .
ثم قال له : يا ولدى قد انتهت مدة الضيافة .
فقال المريد : انما جئتُ لأتصوِّفَ .

قال الشيخ : « ليس التصوف عندنا أن تصُفَّ قدميك وغيرك يمون
لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فأخرزهما ، ثم تصوِّف ، ثم اجعل مشارك
مسيحتك ، واذكر على دقات الفأس والمكوك » .
وقد كانت الألقاب الصوفية تدل على ما يتناولونه من حرف ومهن
وصناعات :

فمنهم الدقاق ، والسماك ، والوراق ، والخوَّاص ، وهكذا تعرف
أنهم كانوا بحق أمثالا للمسلم الكامل إيماناً ، وعملاً ، وإيجابيةً ، وصلَّةً
كبرى بالله .

فالتواكل مرض دخيل على التصوف الصحيح ، يعالجه صوفية
العلماء ، كل بأسلوبه .

* * *

(١) وحديث نهى النبي ﷺ عن التبتل متفق عليه ، ورواه الإمام أحمد ، وأبو
داود عن سعد ، وأحمد والترمذى والنسائي وابن ماجه عن سَمْرَةَ .
وروى الدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : « لما كان من أمر عثمان
ابن مظعون الذي كان من ترك النساء ، بعث إليه رسول الله ﷺ :
فقال : يا عثمان إنى لم أومر بالرهبانية » .

وروى البغوى في معجم الصحابة ، والطبراني في معجم الصحابة كذلك أنعثمان
بن مظعون قال : يا رسول الله : إنى رجل تشق على هذه العزوبة فى المغازى فتأذن لى يا
رسول الله فى الخصاء فأختصى ؟

قال : لا ، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة .

السؤال السابع

أولياء الله ، من هم ؟

وهل يجوز تعيين ولي لله بالاسم ؟

وهل الولاية تورث بالأسرة ؟

الجواب :

أولياء الله هم عباده الصالحون ، الذين نسلّم عليهم فى كل صلاة ، كلما قرأنا التشهد ، وعلى رأسهم الأنبياء ، عليهم صلوات الله وسلامه ، ثم يليهم فى ولاية الله أتباعهم ، فأصحاب سفينة نوح ، وأصحاب ميقات موسى ، والحواريون مع عيسى ، والراشدون ، ومن تبعهم بإحسان ، والأئمة من أمة مولانا رسول الله ﷺ ، كل أولئك ، ومن على أقدامهم هم الأولياء الذين « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والشرط فى الولي : الإيمان ، والتقوى ، كما جاء فى الآية ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾^(١) ثم (الصلاحية -) للثبابة عن حضرة المصطفى ﷺ ﴿ والله يتولى الصالحين ﴾^(٢) فالصلاح هنا بمعنى الصلاحية التى تستوجب كفاية معينة فى الجوانب الثقافية والروحية ، والذاتية والتعبدية ، حتى يكون العبد أهلاً للتبليغ ، ووراثه النبوة ، وسيادة البشرية ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾^(٣) .

وهنا ينكشف البون الهائل ، ما بين (الولاية) و (البلاهة) ، وما بين (الولاية) و (الاحتراف) ، وأن الولاية كسبٌ غالٌ بمجهود أعلى ، أو هى اجتناب بحكم المشيئة الإلهية ، كما جاء بالآية ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدى إليه من ينيب ﴾^(٤) .

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٨ .

(٢) لقوله تعالى ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ من سورة الاعراف ، الآية : ١٩٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥ .

(٤) سورة : الشورى ، الآية : ١٣ .

وتعيين رجل توافرت فيه الشروط بوصف الولاية ، لا يتعارض مع مبادئ الإسلام - فيما أعرف - وقد وصف علماء الحديث رجالاً بأوصافهم بلا حرج .

أما أن الولاية ميراثٌ حتمى : فذلك ما لا علم للتصوف به .

ولا بد هنا من الإشارة إلى أنني أتحدث عن (التصوف) ، وهناك شيء آخر نسميه (التصوف) وهذا هو الذى أساء إلى التصوف ، وما زال ، وسوف يبقى كذلك ، ما لم يشأ الله شيئاً . وما لم ينقذ الله التصوف من التردى الذى يعانیه .

كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن للولاية معانٍ شتى جاءت بها كلمات القرآن والحديث ، تدور حول أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، وقد حصرنا الكلام هنا ، فيما نرجح أنه المقصود وفى الحجم المطلوب للمصحفة . (فنحن هنا نقدم للقارئ عناوين ومؤشرات فقط ، وللبحوث مقام آخر)

* * *

السؤال الثامن

لماذا يبدي الصوفية ولعاً شديداً :

(أ) بإقامة الأضرحة ؟

(ب) وبإقامة الموالد ؟

(ج) والتماس بركة الموتى ؟ .. وما سند ذلك من الكتاب والسنة ؟

الجواب :

(أ) : الصوفية لا يأسون من الموتى ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾^(١) وهم يرون أن الموت مرحلة من مراحل السفر الإنساني الكادح إلى الله ، فالميت عندهم حي حياة برزخية ، وللميت علاقة أكيدة بالحي ، بما صح عن رسول الله ﷺ من أحاديث ، ردّ الميت السلام على الزائر ، ومعرفته ، وبتشريع السلام على الميت عند قبره ، ومحادثته ﷺ لموتى (القلب يوم بدر) ، كما وردت في عدة أحاديث ثابتة .

ومن القرآن حسبك قوله تعالى : ﴿ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾^(٢) .

فهنالك إذن علاقة مؤصلة بين الحي والميت ، وإلا كان الدعاء والسلام على الميت موجهاً إلى الأحجار !!

ومعنا ، زيارة الرسول ﷺ لأهل البقيع ، والسلام عليهم ، وتكليمهم والدعاء لهم .

وللإمام ابن قيم الجوزية (تلميذ ابن تيمية ، وحواريه ، ووارث دعوته) له كتاب (الروح) وقد أثبت فيه كل مذهب الصوفية ، بما لا مزيد عليه ، في موضوع الحياة بعد الموت ، وعلاقة الأرواح بالأحياء ، ولابن أبي الدنيا في ذلك تأليف مفيد .

(١) آخر سورة الممتحنة .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٠ .

والصوفية يعتقدون : بحق - أن الوكبي في الدنيا وكبي بخصائصه الروحية ، ومواهبه الربانية ، والخصائص والمواهب من متعلقات الأرواح ، ولا ارتباط لها بالأجسام البتة ، فالولى حين يموت ترتفع خصائصه ومواهبه مع روحه إلى برزخه ، ولروحه علاقة كاملة بقبره ؛ بدليل ما قدمنا من السلام عليه ورده السلام . . . إلخ . ومن هنا جاء تكريم مؤلاء السادة الصالحين من أصحاب القبور .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ وضع حجراً على قبر بعض الصحابة ، هو عثمان بن مظعون رضي الله عنه (١) ، وقال : « أتعرف به قبر أخى » وكان هذا الحديث ، بعد حديث على رضي الله عنه بتسوية القبور المشرفة ، فاستدلوا به على جواز اتخاذ ما يدل على القبر ، وعلى فضل صاحب القبر ، بلا إغراق ولا مبالغة ، رجاء استمرار زيارته ، والدعاء له ، والقدوة به ، والصدقة عليه ، وحفظ أثره .

ومن هنا جاز نقل الميت من مكان إلى مكان أفضل ، كما صح في حديث جابر وغيره .

ثم بالغ بعض الناس في ذلك - بحسن نية من جانب ، وخوف اندثار القبر من جانب آخر - فاتخذ الأمر بالتطور الصورة التي تراها ، وقالوا : إن الأمر يدور مع علته ، وقد كانت علة تسوية القبور ، والمنع الأول من زيارتها ، هي مخافة الانتكاس والعودة إلى الشرك ، وقد استقر الإيمان والتوحيد في قلوب الناس ، (وإن أخطأت أحيانا ألسنتهم) فلا بأس بعمل ما يذكر بالصالحين للقدوة والاعتبار ، والقيام بحق صاحب القبر من الزيارة وغيرها .

(وقد نقلنا آراء علماء المذاهب فراجعها فيما يأتي) .

هذه هي وجهة النظر عندهم بصفة عامة : وهي - على علاتها - أبعدُ شيء عن التهويل بالشرك والوثنية ، والكفر والردة ، وأستحلال

(١) في أسد الغابة « أنه لما توفي سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال : الحق بالسلف الصالح : عثمان بن مظعون » . وأعلم النبي ﷺ قبر عثمان بن مظعون بحجر ، وكان يزوره » .

دماء المسلمين ، وقد مرّت مئات السنين على هذه الأضرحة ، فما عبّد
منها ضريح من دون الله ، ولا صلّى مسلم لولى ركعة ، والمثل العملى
مضروب بقبر سيدنا رسول الله ﷺ وقبور كبار الأئمة .

أما ما يكون عادةً من بدع الزيارات ومناكرها ، فأمور يمكن تقويمها
بالتعاون على علاجها بالتى هى أقوم .

وإننى مستيقن - سلفاً بأن هذه الكلمات بالذات ، ستنبى لها ألسن
وأقلام احترفت خصومة هذا الرأى ، واتخذته أساس مذهبها ، وهو كل
دعوتها وبضاعتها ، ولكنى أعرض الرأى ، ولا أدعى العصمة ، ولا
أحتكر الصواب ، وأرى أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه ، إلا ما
جاء عن الله ورسوله . بقدر ما أعرف سلفاً ، كافة النصوص المقابلة ،
ووجهات النظر الأخرى ، فالحديث هنا قديم مكرر ، لا جديد فيه على
الإطلاق ، والتقريب بين وجهات النظر ممكن . ولكن لا حول ولا قوة
إلا بالله ، وارجع إن شئت إلى ما كتبناه بتفصيل عن التوسل والقبر فى
رسالة (قضايا الوسيلة والقبور) .

(ب) أما الاحتفال بالموالد : فهو ما لم يكن بصورته هذه فى الصدر
الأول ، وهو - على وضعه الحالى - فيه المقبول والمرفوض ، وإن كان
المرفوض قد غلب فعلاً على المقبول ، ولا بد من وقفة إصلاح ؛ فإن
القائلين بالإلغاء يطالبون بغير الممكن أصلاً ، ولا ينظرون إلا إلى الجانب
المرفوض وحده .

إن أول من احتفل بذكرى المولد النبوى ، هو الملك المظفر (طغرل)
ملك (إربل) بالعراق ، بموافقة الإمام أبى شامة ، والعلماء .
ثم التقط الفاطميون الحبل ، فزادوا وتوسعوا .

وقد التمس علماؤنا الدليل ، فوجدوا أن الله كرم يوم الولادة ،
ويوم الموت ، والبعث مرتين ، مرة بلسان القرآن ، وأخرى حكاية عن
لسان عيسى عليه الصلاة والسلام^(١) . إذن ، فليوم الولادة منزلة عند الله ،

(١) ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾ - ﴿ والسلام على يوم
ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ (سورة مريم) .

ثم نظروا فوجدوا أن رسول الله ﷺ كان يلزم صوم يوم الاثنين من كل أسبوع^(١) فاستل في ذلك ، فقال : « هو يومٌ ولدت فيه ، وأنزل علي فيه » كما ثبت في الحديث الشريف .

ومعنى هذا : أنه ﷺ كان يُحْيِي ذكرى مولده الشريف ، شكراً لله تعالى في كل أسبوع مرةً بالصيام ، وربما بما تيسر له من خير ، فهو يوم من أيام الله ، وقد اهتم رسول الله ﷺ بأيام الله ، كما فعل في يوم عاشوراء ، وكما فعل في (سبوع) الحسن والحسين ، بالإضافة إلى ما ورد من أنه ذبح (ﷺ) في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة ، بعدد سني عمره الشريف .

ومن مجموع هذا ، وما هو منه ، يمكن استنباط مشروعية إحياء الموالد ، لما فيها من الذكريات النافعة ، والعبر الموجهة ، وبما فيها من تلاوة القرآن ، والوعظ والإرشاد ، والذكر الصحيح ، والثقافة ، ثم بما فيها من التعارف على البرِّ والتقوى ، والرواج الاقتصادي والصدقات ، والحركة الاجتماعية ؛ فهي بهذا الوصف أسواق خير ونفع عام لا تضيق به أصول الأحكام الشرعية ، ولا فروعها ، بل إنها تدعو إليه ، وتحض عليه .

ثم إن الله تعالى يقول : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾^(١) ويقول ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » وقد أمرنا الله تعالى أن نفرح بفضله ورحمته ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا ﴾^(٢) فإحياء ذكرى مولد الرسول ﷺ بالمشروع من العبادات والخيرات ونحوها ، إنما هو فرح برحمة الله ، فهو تنفيذ لأمره تعالى .

كذلك نحن مأمورون بالشكر على النعمة ، وما جاء به رسول الله ﷺ هو النعمة العظمى ؛ فإحياء ذكرى مولده ﷺ بشروطها : نوع من شكر النعمة ، وهو واجب قرآني صريح .
وعلى نحو ذلك أو بعضه ينسحب حكم مشروعية إحياء ذكريات موالد أولياء الله جميعاً ، بشروطها المقررة .

(١) الأنبياء : الآية : ١٠٧ . (٢) سورة : يونس (ﷺ) ، الآية : ٥٨ .

وهنا يجب أن نقرر أيضا القاعدة العلمية الثابتة : بأنه ليس كل ما لم يكن في الصدر الأول هو حرام ، وإلا فلم يبق في حياتنا شيء حلال .

وفيما عدا هذا - مما اندسّ في هذه التجمعات من المفاسد الخلقية والدينية والاجتماعية وغيرها - فالحكومة والصوفية الرسمية ، والجمهور ، هم المسئولون جميعاً عنها ، في الدنيا والآخرة . وهو شيء عمّ وطمّ . وأورث الهمّ والغمّ .



السؤال التاسع

يقول الصوفية بضرورة وجود الشيخ ، لتوصيل المرید إلى ربه ، ويقولون : من لا شيخ له فالشیطان شیخه ، فهل هذا صحيح ؟
الجواب :

يا ولدی : الصوفية فى هذا يصدرون عن صحيح الشريعة ، وصحيح الطبيعة ، وصحيح التجربة ، وصحيح الممارسة والواقع .
أما الشريعة، فالله تعالى يقول : ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾^(١) ويقول : ﴿ الرحمن : فاسأل به خبيراً ﴾^(٢) ويقول : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾^(٣) ويقول : ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾^(٤) ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾^(٥) ﴿ واتبع سبيل من أناب إلى ﴾^(٦) ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ﴾^(٧) . وفى الحديث الثابت : « هلاً سألوا ، فإن دواء العى السؤال ! »^(٨) .

وإذن : فلا بد من هاد قدوة ستول ، ذا ذكر ، خبير بوسائل الفرار إلى الله ، والهجرة إليه ، ألم تر إلى موسى كيف طلب المرشد لیتبعه ، كما جاء فى سورة الكهف ، وكيف كان أدب موسى مع مرشده .
ولذا كان لا بد لطالب حفظ القرآن من المقرئ الموقف الخبير بأحكام التلاوة ، وصحة الأداء ، ولو ترك القارئ العادى لنفسه ،

(١) سورة الانبياء ، الآية : ٧ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٧ .

(٤) سورة فاطر ، الآية : ١٤ .

(٥) سورة الانعام ، الآية : ٩٠ .

(٦) سورة لقمان ، الآية : ١٥ .

(٧) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ .

(٨) رواه ابن ماجه ، وأبو داود ، والإمام أحمد ، والدارمى ، والدارقطنى ،

راجع « كشف الخفاء » ج ١ ص ٢١٣ ، فالحديث بطوله وتخریجه هناك .

لاستحالة عليه أن يحصل حق التلاوة وصحة الأداء ، وبالتالي ربما اضطربت معه مفاهيم الآيات ، وغابت الأحكام ، وقُلْ مثل ذلك في كل علوم الدين واللغة ، وكل علوم الدنيا فكرية كانت أم عملية ، حتى الحرف والمهن والصناعات ، مهما علت أو دنت ، لا بد لها من اختصاصي يُلْقِنها ويكشف أسرارها . فما لم يكن للمرء شيخ في العلم : ضل وافترسه الشيطان ، واستهواه ، وجعل إلهه هواه ، فهلك .

وما لم يكن للمرء معلّم في بقية الصناعات لما أصاب ولا أجاد ، وربما هلك وهو يطلب الحياة ، ومن هنا كان لا بد أسالك إلى الله من إمام يرشده ويوجّهه ويسدّه ، ويكشف له أحابيل الشيطان ، في العبادات والمعاملات ، والخطرات النفسية والإرادات القلبية ، والواردات التي قد تكون أخطر على صاحبها من الكفر الصريح .

يا ولدي : فكّر في موقف الإمام في الصلاة ، وفي تلقي الرسول عن جبريل عليهما الصلاة والسلام .

ولهذا سجّل كبار أئمتنا أخذهم وتلقيهم عن كبار شيوخهم ، كباراً عن كبار ، بالإجازة الشريفة ، والثبت المحكم ، سواء في العلوم ، أو في تلقى البيعة الصوفية ، واتصال السند ، ولا يزال في عصرنا هذا يستعد الطالب لأعلى درجات الثقافة (الدكتوراه مثلاً) ولا بد له من مشرف يشاركه رحلة العلم والجهد ﴿ وما يستوى الأعمى والبصير ﴾ (١) .

وقد تلقينا من قواعد أهل العلم (غير الصوفية) قولهم : « لا تأخذ العلم من صحفى ولا القرآن من مصحفى » .

و « الصحفى » : هو الذى جمع محصوله من الصحف وحدها ، دون مرشد .

و « المصحفى » : من قرأ القرآن وحده ، من غير موقف ، وهذا معجّح عند أهل العلم .

ثم تأمل مرة أخرى بعثة الرسل إلى الناس ، ونزول جبريل عليه السلام على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتوجيه والهداية .

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

ولا تنس يا ولدي : أن التقاء روح الطالب والأستاذ ، وتبادل الود ، ووحدة الإرادة ، واندماج الشخصيتين بالحب والتسامي ، وقصد وجه الله : فيه أثر روحي ونفسي مقرر عند أهل العلم بالقديم والحديث ، وحين يكون السند موصولاً ، يكون من ورائه سر مجرب ، يسميه الصوفية (بركة السند) ، وإن لم يؤمن الجاهلون بسرّه . ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه ﴾^(١) تأمل ، فمن هنا تبدأ البركة ، ثم تتسلسل !!

وأظن في هذا الإجمال كفاية إن شاء الله ، وإلا فـ ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾^(٢) .



(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٦ .

السؤال العاشر

(أ) ما هو الحكم فى استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء
(والحركات غير اللائقة فى كثير من حلقات الذكر) ؟!

(ب) تحريف أسماء الله تعالى ؟!

و (أه ، أه) أو (هه ، هه) ؟!

(ج) ترديد لفظ : (هو آه) ؟!

(د) إصدار الأصوات الساذجة بنحو (ها) و (أه ، أه) أو (هه ،

هه) ؟!

(هـ) اشتراط أن يتخيل الذاكر شيخه بين عينيه ؟!

(ز) الاعتراف للشيخ بالذنوب والمعائب ؟!

الجواب :

أشرتم إلى أننى - وأستغفر الله - من قادة الفكر الدينى المعاصر ،
وأحد المصلحين الصوفيين ، فجزاكم الله عن حسن الظن بحسن الثواب .
وأنا امرؤٌ أعرف - بحمد الله - نفسى فلا أعدو قَدْرِى . ولا
استشرف إلى هذه القيمة المتسامية ، لكننى لا أنكر فضل الله علىّ فى أننى
شاركت - بكل طاقتى - فيما زعمتُ لنفسى أنه يُرضى الله - من خدمة
التصوف خاصة ، والإسلام والوطن عامة ، ولا أزال بحمد الله رغم ما
أعانى .

ولا بد من تسجيل حادث تاريخى فريد ، مما عانيت فى سبيل
الإصلاح الصوفى (ولا أزال) ؛ ففى الخمسينات ، عندما ألححت فى
المطالبة بالتطوير ، والإصلاح الصوفى ، حتى استجابت الحكومة ،
وألّفت لجنة للإصلاح الصوفى برياسة محافظ القاهرة ، وكنت مقرر هذه
اللجنة بوصفى صاحب الاقتراح ، وخبيراً فى الشئون الصوفية ، ثم
شُكلت لجنة من بعدها برياسة وزير الأوقاف لنفس الغرض ، وكنت
مقررها أيضاً لنفس السبب (وكان الوزير فضيلة الأخ الأستاذ الشيخ أحمد
حسن الباقورى رحمه الله تعالى) .

من أجل ذلك : اجتمعت الجمعية العامة للطرق الصوفية من أكثر من ستين شيخاً بمسجد الإمام الحسين ، وقررت بالإجماع (فصلى نهائيا من الطرق الصوفية) وتجريدي من النسبة إليها !!

وكانت هذه أول مرة في التاريخ الصوفي الرسمي ، يُفصل فيها (شيخ) !! حتى رد « مجلس الدولة » إلى اعتباري !؟ وكانت قصة ، إنما هي غُصَّةٌ ، ويكفي التلميح إليها لتعرف كيف أحيا ماضياً على شظايا الزجاج المحطَّم بين (أعداء) التصوف ، و (أدعيائه) وهذا قَدْرِي ، ولا يَزَالُ .

ثم كان من فضل الله : أن استمرت الحكومة في النظر في هذا الإصلاح على أساس مذكراتي وتقريراتي السالفة ، وغيرها ، حتى صدرت اللائحة الصوفية الأخيرة - بعد ولادة طويلة عسيرة - كخطوة كبيرة ، في سبيل تطهير التصوف وتطويره وإصلاحه ، وقد سجلتُ بعض ملاحظاتي عليها ، وإن كانت اللائحة في مجملها شيئاً حسناً في خدمة تصوف المسلمين - إن أمكن التطبيق الصحيح - رغم ما لى عليها من مأخذ أساسية .

وبعد :

أولاً : فأما استخدام الرقص ، والطبل ، والزمر ، والغناء - فيما يسمى حلقات الذكر - فليس من دين الله (قولاً واحداً) سواء عند أئمة الصوفية ، أو غير الصوفية ، وإنما هو من الدخيل ، والدسيس الذي تسلل إلى التصوف ، فأفسده ، وأساء إليه .

ينقل الشيخ (ابن الحاج) في (مدخل الشرع الشريف) :

قلنا : وقد عاب الله نحو ذلك على المشركين من قبل ، فقال : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت ، إلا مكاءً وتصديّة ﴾^(١) ، يعنى تصفيراً وتصفيقاً ! وهما من لوازم الطبل والزمر والرقص !!

إن الرقص ، والطبل ، والزمر ، لا شك هو لهو ولعب ، فإذا اتخذناه ديناً ، كان افتراءً على الله ، وهو تعالى يقول : ﴿ وذروا الذين

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٥ .

اتخذوا دينهم لهوًّا ولعباً ﴿١﴾ ، و ﴿ لعبدولهاو ﴾ ﴿٢﴾ كما فى آيتى (الأنعام والأعراف) والله لا يأمر بترك شىء هو قربة إليه ، فإذا كرر الأمر كان معنى هذا أنه شىء يغضب له غضباً مضاعفاً ، لما فيه من تعدد عن حدوده تعالى ، وعلى حدوده ، يقول شاعر الصوفية :

يا عصبه ما ضرَّ أمةً أحمد وسعى علي إفسادها إلا هوى
طاراً ، ومزماراً ، ونعمةً شادن أتكون قطَّ عبادةً بملاهى ؟!
وإنما يُعبد الله بما شرع وفيما شرع تعالى سعة وكفاية ، ومتعة روحية
بغير حدود ، والعبادة جد كلها ، وهو تعالى يقول : ﴿ لو أردنا أن نتخذ
لهوًّا ، لاتخذناه من لدنا ، إن كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه ، فإذا هو زاهق ﴾ ﴿٣﴾ ومن شاء لهوًّا مباحاً ، فليبتعد به عن العبادة ،
وعن التصوف .

ولوجه الله ، وللحق فى ذاته ورغم ما أصابنا ، ولا يزال - فى
سبيل التجديد والإصلاح الصوفى - نقرر أن مشيخة الطرق الصوفية
المعاصرة ، أصدرت عدة منشورات ، تنهى فيها عن هذا العبث ، ولكن
هناك أهواء ، وخلفيات ، ومواريث ، ومصالح ، ونوع من الجهلوت^(٤)
المستحكم ، والافتقار ، بل الإصرار على المخالفة . كل ذلك يقف دون
التنفيذ الواقعى لهذه المنشورات ، حتى كأنها لم تكن ، ولكن لا بد لهذا
الليل من آخر .

ثانياً : أما الغناء والإنشاد ، فإن كان ملتزماً ، وبشروطه المشروطة
شرعاً ، فإن له أصلاً فى السنة الصحيحة ؛ ففى البخارى وغيره أن سيدنا
رسول الله ﷺ كان أصحابه - وهو يشارك فى بناء مسجده الشريف
ينشدون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

(١) الأعراف ، الآية : ٥١ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٧٠ .

(٣) سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الآية : ١٧ .

(٤) الجهل المتأصل فى النفس .

إلى آخر ما قالوا بأصوات منغمة طبعاً على لحون العرب !!

كما ورد أنه عليه السلام كان يردد نحو هذه المقاطع على من كان ينشد مع المرددين من الصحابة ، سواء في بناء المسجد ، أو حفر الخندق أو غيره ، وقد استمع عليه السلام حُداء « عبد الله بن رواحة » وأقره ، وحسبك في رضاه عليه السلام عنه قوله لابن رواحة يوماً عندما تزايد خطو العيس « الإبل » على حُدائه أن قال له عليه السلام : « رويدك ، رفقا بالقوارير ! » يريد النساء من خلف الركب ، منهن من لا يقوين على شدة خطو الإبل المأخوذة بجمال الحُداء وحسن الصوت ، ورقة الأداء والتلحين^(١) .

وقد ثبت أنه عليه السلام كان يستمع لبعض « الأراجيز » في بعض المناسبات ، والأراجيز شعر يُشَدُّ منغماً بلحن عربي موروث ، فهو ضرب جاد من الغناء العفيف ، فضلاً عما كان يستمعه من الشعر (بلحون العرب) وأصواتها بمسجده .

وتأثر النفس الشريفة باللحن والصوت الجميل طبيعة في الإنسان الكامل ، لا ينكرها رجل سوى قط ، ألا ترى أنه سوف يكون من متع الجنة أن يستمع أهلوها كلام الرحمن عز وجل ، وكيف اختار رسول الله عليه السلام (بلالاً) للأذان ، وكيف كان العرب يضربون المثل بصوت وأداء (أبي محذورة) أحد مؤذني النبي عليه السلام ، وكيف أنه عليه السلام أقام منبراً لحسان في المسجد ينشد الشعر عليه منافحاً .

ولقد استمع عليه السلام لصوت ابن مسعود ، فقال : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود »^(٢) كما جاء في الحديث الصحيح .

(١) تواتر أنه عليه السلام استمع إلى غناء الجوارى ، عند دخوله المدينة كما استمع إلى المرأة التي نذرت أن تضرب له الدف وتغنى .

(٢) الحديث بهذا اللفظ رواه الإمام أحمد والنسائي ، وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

وروى أبو نعيم في الحلية قوله عليه السلام عن أنس : لقد أوتى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود ، وروى محمد بن نصر : « لقد أوتى أبو موسى من أصوات آل داود » .

وكان رسول الله ﷺ يرتل القرآن ، ترتيباً يأخذ بمجامع قلوب الصحابة ، فيتمنون لو أنه أطال وبالغ .

وفي الصحيحين حديث : « حسن استماع الله للنبي حسن الصوت بالقرآن »^(١) .

ثم ألا ترى أن الله أبغض الصوت الكريه ، فقال تعالى : ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾^(٢) !! ومن مجموع هذا ، وما هو منه (وهو كثير) يمكن الحكم على الإنشاد الملتزم بالمشروعية على أقل صور الأحكام ، إن لم يكن السنية ، أو الندب ، أو الاستحسان ؛ فإن من الإنشاد ما يرتقى بالمرء إلى أسمى معارج الأرواح ، إذا كان رقيق القلب شفيف الروح .

وقد أثر عن بعض كبار شيوخ الأزهر ، قوله : « من لم تطربه الأوتار ، على شواطئ الأنهار ، في ظلال الأشجار ، وغريد الأطيوار ، وجوار الأزهار ، والنسيم المعطار ، ذكراً فردوس العزيز الغفار : فهو حمار من حمار . . . »

ثالثاً : أما تحريف أسماء الله الحسنى في حلقات الذكر : فإجماع أئمة التصوف على أنه حرام موبق ، وحسبك فيه قوله تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ﴾^(٣) فهذا أمرٌ بالذكر ، مع نهى شديد عن تحريفه ، والتحذير من الصلة بمن يحرفونه ، أي يلحدون فيه ، وإعلان أنهم سيجزون بسوء عملهم ، فيكون هذا الإعلان بمثابة إنذار ، ونهى شديد مكرراً ، حتى ندع من يحرفون أسماءه تعالى ، فكيف بحكم المحرفين أنفسهم !؟

وهذا الإلحاد يشمل نحو قولهم « ها ، ها » أو « هي ، هي » أو

(١) ومن ألفاظ الحديث : « ما أذن الله لنبي ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى

بالقرآن : يجهره » .

(٢) سورة : لقمان ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة الاعراف ، الآية : ١٨٠ .

« آه ، آه » وغير ذلك من الأصوات الساذجة الحمقاء ، التي لا تكون أبداً من كرام الناس ، ولا أفاضلهم : لا أسلوبياً ، ولا أداءً .

لكن المأخوذ عن نفسه ، لا يؤاخذ ؛ لأنه ممن رُفِعَ عنه القلم ولهذا وجبت التفرقة الشرعية بين هذا وذاك .

وفى هذا يقول الشيخ الأخصري فى أرجوزته الصوفية :

أبقوا من اسم الله حرفَ الهاء فألحدوا فى أعظم الاسماء
لقد أتوا والله شيئاً إذاً تخرُّ منه الشامخاتُ هذاً

ويلحق بهذا نطقهم باسم (الله) على غير وضعه الشريف ، من نحو ضمّ ألفه الأولى أو كسرهما ، مع قصر ألفه الوسطى، ومع تخفيف لامه أو تغليظها ، مما يُخرجه عن منطوقه القرآنى إلى منطوق سوقى محرّم ، وخصوصاً مع ما يسمونه (الدوكة) أى تغليظ الصوت .

(ب) أما قولهم (هو ، هو) : فهذا اللفظ (ضمير الغائب لغةً) وقد ورد فى القرآن الكريم كثيراً من نحو قوله تعالى : ﴿ الله لا اله إلا هو ﴾^(١) وقوله : ﴿ هو الحى لا اله إلا هو ﴾^(٢) فهو الغائب عن النظر ، المشهود بالبصيرة ، وقد أفرد الإمام الفخر الرازى فى تفسير الفاتحة بحثاً ضافياً، أثبت فيه أن لفظ « هو » ربما كان اسم الله الأعظم ، بنحو عشرين دليلاً ، ونحن فى ذلك معاً .

فالمسألة فى لفظ (هو) - على أسوأ الاحوال - خلافية ، وما دام فى الأمر وجهان ودليلان ، فإنه يسعنا ما يسع غيرنا^(٣) وليس من العدل تجريم من اختار أحد الوجهين لصحة دليله عنده ، والفروع كلها محل خلاف !!

والقاعدة : « متى دخل الاحتمال ، بطل الاستدلال » .

(ج) أما لفظ (آه) فلم يثبت علمياً أنه ذكر به إمام الشاذلية (أبو الحسن) رضي الله عنه ولا كبار تلاميذه ، من أمثال : أبى العباس المرسى ، وابن

(١) آية الكرسي .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٥ .

عطاء الله « والشيخ الحنفى ، ولم يرد له ذكر فى أهم مراجع التاريخ الشاذلى ، كـ « درة الأسرار » و « المفاخر العلية » ، « واللطائف » ، ولكنه منسوب إلى بعض كبار أئمة الشاذلية المتأخرين ، ولهم على مشروعية الذكر به أدلة شتى ، لعل من أقواها ، وأحكمها ما كتبه المرحوم الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر الأسبق ، ثم ما كتبه المرحوم الشيخ عمران الشاذلى فى عصرنا الحديث .

ثم إن الذاكرين بهذا الاسم يقررون : أن له أثراً عظيماً بالممارسة والتجربة ، ولا بد من مراجعة أدلتهم قبل الحكم لهم أو عليهم . فهو أيضاً نمط من الخلافات الفرعية . ومن الشاذلية من لا يذكرون به ، (كالحصافية ، والحامدية ، والمحمدية) ومن أشد الناس تمسكاً به فروع (الفاسية الشاذلية) .

وكان والدى رحمته لا يستهجنه ، ولا يستحسنه ، ويقول : (أنا لا أمر بهذا الاسم ، ولا أنهى عنه) .

وكان يقول : (إن عذرى معى فى التوقف فى هذا الاسم بما له ، وما عليه ، وما لا خلاف عليه خيرٌ مما فيه الخلاف) .

قلنا : ونحن على الأثر ؛ فلا نعيب على من يذكر به بدليله ، ولا نلوم من لا يذكر به بدليله .

رابعاً : وفيما يتعلق باشتراط تخيل المرید شيخه عند الذكر بين عينيه : فهم يقولون : إن المراد الأساسى من هذا ، هو استجماع الهمة ، وطرده الشواغل ، وتفريغ القلب لحسن التوجه ، والاستعداد للاستعداد ، فهو وسيلة - مؤقتة - للتجهيز لدخول حضرة الحق ، فإذا ما انحصرت الطاقة فى تصور الشيخ ، والنبي ، وهما يدفعان المرید إلى الله ، ويهيئانه للعمل ، ثم إذا أخذ المرید فى الذكر ، كان أول ما ينطرح عن المرید هو هذا الخيال الفانى ، فلم يبق إلا الله الباقى .

هذا هو أصل الموضوع عندهم .

وتخيل صورة الشيخ ليست شرطاً ، ولكنها من الوسائل الاجتهادية والتجريبية النافلة . ولهذا لم يقل بها كثير من الشيوخ ، اكتفاء بصدق المحبة ، والرابطة بين المرید وشيخه ونبيه عليه السلام ، حتى كأنه بينهما .

وفى هذا الموضوع بحوث نفيسة عميقة .

وإذا عرفنا أن هذه الحالة - عندهم - إنما تكون قبيل البدء فى التعبد ، ولمدة لحظات فقط . ثم يكون الذكر الذى يستغرق كل أحاسيس الذاكر .

إن تخيُّلُ النبي ﷺ والشيخ عند الذكر ، أشبه شىء بما يخطر على بال المصلى من أخيلة الجنة والنار ، والإنس والجن ، وأهوال الحشر ، وعظمة الله ، وهذه صور لا تُبطل الصلاة ، ولا تُتهم بالوثنية . فالموقف هنا وهنا واحد ، وبالتالي يكون الحكم واحداً ؛ فقد انتفت دعوى الوثنية ، التى يُرمى بها الصوفية - أو بعضهم - فى هذا المجال ، تهوراً ومجازفة .
خامساً : ثم تأتى قضية اعتراف المرید لشيخه بذنوبه وعيوبه ، فأى حرام فى هذا ؟

إنك عندما تذهب إلى الطبيب تذكر له كل ما تشكوه ، وما يؤلمك .

وهذا الشيخ هو طبيبك الروحى فى الله ، وعقدة الذنب تؤرق صاحبها ، فهو يسأل طبيبه الروحى عما عسى أن يُطهره ويغسله من خطاياها ، وينقذه من آلامه ، ووخز الضمير ، وهو (النفس اللوامة) فى لغة القرآن والتصوف .

أليس كان يأتى الناس إلى رسول الله ﷺ ، فيقول أحدهم مثلاً : « هلكت يا رسول الله ، فقد فعلتُ كذا وكذا » كما حدث مثلاً : فى قصة « ماعز » وقصة « الغامدية » واعترافهما بارتكاب الخطيئة لرسول الله ﷺ على ما ذكره البخارى ومسلم ، وغيرهما ، فكان الرسول ﷺ يدل المعترف بخطئه على ما لو عمل به تقبله الله ، وعفى عنه ؛ فإن من الفطرة ضرورة الإفضاء والاستنصاح « والدين النصيحة » (١) .

أليس الله يقول ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ (٢) .

(١) رواه البخارى فى التاريخ عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، والبيزار عن عبد الله بن

عمر رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٧ .

ثم أن الآيات القرآنية كلها تدل على أن المؤمنين - بل وغير المؤمنين - كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ يستبثونه ، ويستفتونه ، في مثل قوله تعالى : ﴿ واذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل سلام عليكم ﴾ . . ﴿ (١) ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله . . ﴿ (٢) ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم ﴾ . . ﴿ (٣) ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك ﴾ . . ﴿ (٤) ﴾ الآية .

فكلها حثٌ على المجيء إلى أهل الصلاح ، وطلب النصيح منهم ، أو الفتوى ، أو التوجيه ، ولا يكون ذلك إلا مع بيان طلب الاستيضاح أو الاستفتاء ، فكان هذا جميعاً من أسباب الإفضاء إلى الشيخ بالذنوب أو العيوب ، طلباً للتعرف على ما يرضى الله ، وما يكون سبباً للإجابة والمتاب .

ثم أليس يستشير الرجل من هو أعلم منه ، ليستفيد من تجربته أو خبرته أو سوابقه في معاناة الأمور ؟
 أليس يُفَضِّى الأَخُ إلى الأَخِ بما يؤرقه ويقلقه ، طالباً نصحه وتوجيهه ؟
 وهل اتخاذ الشيخ إلا من أجل تنقية النفس من أضرارها ، وترقيتها في معارج السالكين ؟

فلمست أرى ممنوعاً - شرعاً ، أو وضعاً - أن يطلب المرید نصيحة شيخه فيما واقعه من مثالب وخطايا ، ليدله على وسيلة النجاة ، وفي القرآن ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (٥) .

وأظن ما قدمته كافياً الآن ، في هذا المجال

ولا اعتراض بأن : هذا يشبه نوعاً من الكهنوت في الاعتراف لرجال

-
- (١) سورة الأنعام ، الآية : ٥٤ .
 - (٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .
 - (٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٢ .
 - (٤) سورة الممتحنة ، الآية : ١٢ .
 - (٥) سورة الشورى ، الآية : ٣٨ .

الدين^(١) ، فالفارق هائل ضخيم ؛ فهناك يعتقدون أن مجرد الاعتراف كاف في محو الخطيئة ، وأن الاعتراف الذي يقبله الكاهن ، يقبله الله حتما .
أما هنا : فإنما يدل الشيخُ مريدَه على ما به يرضى الله عنه ، من توبة واستغفار ، أو صدقة ، أو عبادة ، ثم يدعُ ما وراء ذلك لله وحده ، إن شاء قبل ، وإن شاء لا ، وهذا فارق ما بين الشرك والتوحيد .

* * *

(١) وهي كلمة « كنيسية » ، وأما كلمة الإسلام فهي « علماء الشريعة » و« فرق

كبير بين هذا وذاك .

السؤال الحادى عشر

(أ) ما حكم التضرع والتوسل بأصحاب الأضرحة؟!

(ب) وما حكم الاستخدام الشائع لعبارة «مدد» والمدد لله وحده؟!

الجواب :

مسألة التوسل إلى الله بما يحب ، وبمن يحب ، مسألة قديمة ، تناولتها طبقات من السلف والخلف ، بين الرفض والقبول ، وكما مال إلى الرفض أمثال الشيخ ابن تيمية ، مال إلى القبول أمثال الحافظ ابن حجر ، والإمام الشوكانى ، وبخاصة فى كتابه « الدر النضيد » .

وللإمام الآلوسى فى ذلك تفصيل مفيد .

والإسلام متفق على صحة مبدأ التوسل ، والخلاف كله على اللفظ والكيفية والاتجاه ، والأدلة هنا لا يتسع لها مقال ، وقد سبق أن نشرت لى (التعاون) ما يكفى ، وعليك أن تراجع ما كتبناه فى رسالة « الوسيلة » فيه التفاصيل الكافية .

والمهم فى هذه المسألة المتشعبة الجوانب ، الفسيحة الرحاب أن يوجّه الطلب إلى الله وحده ، وأن يكون ذكر المتوسل به - لمن شاء التوسل - نوعاً من تأكيد الطلب ، بالاعتراف بالتقصير والتفريط فى جنب الله ، مما يخجل معه المتوسل أن يكتفى بدعائه ، وهو ليس أهلاً للاستجابة ، فيستشفع إلى الله بما (أو بمن) يغلب على ظنه أنه مقبول عنده فى رجاء ألا يردّ أو يرفض .

وما دام الطلب من الله ، وإلى الله ، ابتداءً وانتهاءً ، كقول القائل : « اللهم إنى أسألك كذا وكذا ، متوسلاً إليك بكذا » فلا خطأ ، ولا شرك على الإطلاق ، وقد ذهب إلى هذا المرحوم الإمام حسن البنا ، واعتبرها من الخلافات الفرعية .

وليس التوسل واجباً ، وإنما هو اختيار لمن شاء ، على ألا يكون الطلب موجهاً إلى العباد ، سواء أحيائهم أم أمواتهم ، فإذا أخطأ

الجاهل - مع هذا - وطلب من العبد ، فإنه يُعَلِّم ويرد إلى الصواب ،
ويكفيه نيته وحسنُ اعتقاده ، وعلمه اليقيني - مهما كان أميا جاهلا - بأن
الله هو الفعال ، وإنما العبد وسيلة ، لا يملك مع الله شيئا .

وإذن فلا نخرجه من الإسلام بجرّة قلم ، أو انفعال لسان ؛ فإن هذا
أمر خطير ، لا يملكه أحد ، وإن كان قد شاع تكفير الناس في أيامنا هذه
بما لا يقبله عقل ولا دين .

أما الأدلة فشتى ، لا يحتملها مقال ، ولا عشر مقالات ، ولكني
أفضل - كما قلت - أن تقرأ بحثًا كنتُ كتبتُه في هذا الباب ، وطبعته
« مجلة المسلم » في رسالة خاصة هي رسالة (قضايا الوسيلة والقبور)
فلعله أن يفيد بعض الشيء ، إن شاء الله تعالى .

ومسائل الفروع كلها محل خلاف ، حتى حركة الاصبع في
التشهد ، وما وسع غيرنا فهو يسعنا ، ما دام التوحيد مستقرا في القلوب
بحمد الله .

ومن المفيد ، أن تعلم أن التشنج ، والعصبية في قضية التوسل ،
وقضية التصوف ، وقضايا القبور ، وتحقير أهل البيت النبوي ، وأولياء
الله ، من أقرب وسائل الثراء المربح ، وسرعة التعاقد على العمل المأمول
في بلاد البترول ! وأيسر وسائل الشهرة ، وبناء العمارات ، وركوب
الطائرات ، وحياسة السيارات . . . فافهم . . . !

(ب) أما قولهم « مدد » : فإن نعمة الإيجاد والإمداد كلتاها لا
تكونان إلا لله ، ومن الله عز وجل ، فالحياة الأولى والآخرة جميعا ،
ومحتوى الملوك ، والملوكوت كله ، إنما هو من إيجاده ، وإمداده تعالى .
وهو يقول : ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ ﴾ (١) ، وهي آية
كاملة شاملة ، ومؤداها في معنى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

والعبد سبيل أو سبب ، ولكل شيء سبيل وسبب .
فطالب المدد : إن كان يطلبه من شيخ حى ، فهو إنما يريد بالمدد :
طلب العلم ، أو الإرشاد ، أو الدعاء ، قلبيا كان أو نفسيا ، أو تلقى

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٢٠ . (٢) سورة النساء ، الآية : ٧٨ .

السيالات ، والتيارات الروحية من طاقات الشيخ المشحون بأسرار الإيمان ، وقوى التعبد ، والعلاقة بالله .

ولكل مخلوق ميالات وتيارات كهربية ومغناطيسية مؤثرة ، أثبتها العلم القديم والجديد ، واستدل بما فى الإنسان من الشجاعة والمروءة ، والهمة ، ونحوها ، فكلها قوى خفية ، سميناها بالأسماء ، ووصفناها بالأخلاق ، ثم قررها علم النفس الحديث ، واتخذ من « الحسد » دليلا على القوى الشريرة فى الإنسان ، وهذا يثبت أن للإنسان - بالمقابلة - قوى خيرة ، تؤثر فى الغير بمثل ما قد تؤثر قوى الشر من الحسد فى المحسود ، فكل شئ له مقابل ، هو ضده ، ثم إن التنويم المغناطيسى ، فى أسلوبه العلمى المعترف به فى كل جامعات العالم ، وكل المحاكم العالمية هو دليل فى هذا الجانب غير مدفوع^(١) ، وقد قرر الشيخ ابن القيم فى كتابه « الروح » كثيراً من القوى والطاقات الإنسانية فى الأحياء والموتى ، فارجع إليه .

وهذا ، وإن كان يطلب المدد من شيخ متوفى ، فهو يطلب من روحه « التى يعتقد أنها تحيا برزخيا ، فى مقام القرب من الحق » أن تتوجه شفاعتاً إلى الله فى شأنه بما يهمه ؛ فالأرواح فى عالمها تحيا حياة غير مقيدة بحدود زمان أو مكان ، فالقيود والحدود نتيجة الحياة البشرية ، وأما الأرواح ، فهى من عالم الانطلاق ، ولا شك أن هذا الجانب كله مزلق من أخطر المزالق ، ولا يقوى على فهمه وضبطه إلا أولو الألباب ، ومن ثم وجب تبصير الناس ، أو سد الذرائع .

وليس معنى هذا أننى أجزى الحالات الهستيرية التى نشاهدها فى كثير من التجمعات المنسوبة إلى التصوف ، وإنما أردت أن أبين علة الموضوع وإسناده عند أهل العلم . ولكل حق باطل يشبهه ، وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور .

(ج) أما ما يحيط بالموالد من منكرات ، جعلتها مجالاً خصباً

(١) راجع كتاب « سبيل السعادة » للمرحوم الشيخ يوسف الدجوى ، وكتاب « على أطلال المذهب المادى » للمرحوم محمد فريد وجدى .

للمرتزة والنصابين ، فقد قررنا أن الموالد بوضعها الحالى ، فيها المشروع والممنوع ، وقد أصبح الممنوع فيها غالبا على المشروع للأسف الشديد ، فمثلا : قراءة القرآن ، ومجالس العبادة ، وحلق العلم ، وانتشار الصدقات ، وما يكون بين الناس من التعارف ، والتآلف ، والتعاطف ، ورواج الحركة التجارية ، والتلاقى على الله بحسن النية وصفاء القلب ، ووفرة الجو الاجتماعى المحبب شرعاً وطبعاً ، كل ذلك « حركة فيها بركة » لا ينكرها عقل ، ولا دين ، والإسلام دين التجميع والتكتيل ، ومعنا جماعات الصلوات ، والجمع ، والعيدين ، فضلاً عن اعتبار الموالد نوعاً من الفرح بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا .

ولكن بجوار هذا شر موبق : عبادة محرقة ، وتجمعات منكرة ، ولصوصية أعراض ، ولصوصية أموال ، ومراتع فسوق ، ويورات ميسر ، ومستنقعات تخريف ، وتخريف ، وشعوذة ، وتفاخر ، وتكاثر بالأتباع والأموال ، والمظاهر . وضياح أى ضياح للأموال والأوقات والأخلاق والطاعات !!

إن هذه الموالد يمكن أن تصبح أسواقاً للثقافة الربانية . ومنابر للدعوة الوطنية والإسلامية ، ومناسبات للخير العام والخاص ، لا يمكن أن تضارعها فيه أية تجمعات مصنوعة ، مهما استقطبت من المغريات ، وليس هذا فى يد أحد سوى الحكومة أولاً ، فيما لها من الإشراف عليه ، ثم فى يد مشيخة الطرق الصوفية ، فيما لها من الإشراف عليه ، إذا صح العزم ، وصح الحزم ، على التغيير ، وطُرحت المجاملات ، وصدقت المواجهات .

أما والحال على هذا المنوال ، فخسارة ووبال . وليس بعد الحق إلا الضلال .

إن الكلام عن الموالد فى جوانبها المختلفة تاريخياً وشرعياً ، كلام طويل ، وتستطيع أن ترجع إلى بعضه فى بعض نشرات العشرة ومجلتها ، وفيما قدمناه هنا أنفاً كفاية .



السؤال الثاني عشر

ما حكم المواكب الصوفية ؟

وما يكون فيها من الرقص ؟ والدفوف ؟ والصاجات ؟ والأعلام ؟
والأزياء الشاذة ؟ والأوشحة ؟ والعمائم الملونة ؟

الجواب :

أما الطبل • والزمر • والرقص • وما يليه من الدفوف والصاجات ،
فقد أوضحنا - فيما قدمنا - حكم تحريمه باتفاق كعبادة ؛ فهو لهو
وباطل ، وعبثٌ ليس من الدين ، ولا هو من شأن الرجال^(١) .

أما نفس المواكب : فقد كان أول موكب انعقد في الإسلام يوم أذن
الله بإعلان هذا الدين الخاتم ، فخرج المسلمون في صفين على رأس
أحدهما : عمر بن الخطاب ، وعلى رأس الآخر : حمزة بن عبد المطلب ،
واخترق هذا الموكب شعاب مكة وثنياتها ، يعلن بالتهليل والتكبير .

ثم جاءت مواكب المجموعات في المدينة تعلن بالتكبير ليالي الأعياد
والجماعات ، التي تعلن بالتلبية في الحج . ثم جاءت السرايا والبعوث ،
تأخذ وجهتها في الدعوة إلى الله ، كلما علوا شرقاً ، أو هبطوا سهلاً ،
هللوا وكبروا ، فكان هذا جميعاً أصل « المسيرات » والمواكب الصوفية
السليمة .

أما الأعلام : فقد وجدت في مسيرات الجيوش ، في الصدر الأول ،
حتى إذا غزا (لويس التاسع) دمياط ، ودعا الإمام الصوفي العظيم
« الشيخ أبو الحسن الشاذلي » الناس إلى الجهاد ، بعد أن كف بصره .
ودقت طبول الحرب بين يديه ، وسارع إلى موكبه كبار أئمة الدين في
عصره ، ومنهم سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، وإمام المحدثين
الشيخ زكي الدين المنذرى « صاحب الترغيب والترهيب » ، ومكين
الدين ، وابن ذبيق العيد ، ورجاله من الصعيد . وابن الصلاح إمام
علماء الأصول ، وغيرهم من الخاصة ، فضلاً عن الجماهير الهائلة .

(١) راجع ما قررناه آنفاً .

وكان قد أثار خروجُ أبي الحسن (وهو مكفوف) حماس الناس وغيرتهم ، فتابعه الآلافُ يخرجون إلى كفاح الفرنسيين بأموالهم وأنفسهم ، وقد اتخذت كل بلدة أو أسرة رايةً لها ، تُعرف بها ، ويتجمع تحتها رجالها ، حتى إذا نصر الله المسلمين ، وأُسر « لويس ورجاله » ، وحبس في دار ابن لقمان (الصوفى) بالمنصورة^(١) وعادت الجموع وهي تحتفظ ببراياتها تيمناً وتفاؤلاً : تذكّاراً لتاريخ شريف .

ثم ورث بعض المتصوّفة هذه الأعلام من أسرهم ، وأقاربهم ، وبلادهم ، واتخذها شعاراً . وحولها من حقيقة إلى تمثيل ، وفلسفوها ، فأدخلوا إشارة في مجال مجاهدة النفوس ، ولست أرى هذا الرأي ولا أسيغه ، وخصوصاً بعد هبوط مستواه إلى ما ترى في المدن والقرى ، ومن الناس .

(ج) أما الأزياء الشاذة : فمدسوسة على أهل الله . ولم يُعرف ولىُّ الله كان له زى غير مألوف : فهى أثواب شهرة . « ومن لبس ثوب شهرة شهر الله به » كما جاء في الحديث الشريف^(٢) . والصوفية الأبرار أبعد عن هذا الصغار . وأما أن عمر رضي الله عنه لبس المرقعة ، فلم يلبسها للغاية التي يلبسها من أجلها هؤلاء المحترفون .

(د) أما الأوشحة : فقد سألت يوماً رجلاً صالحاً يحمل على صدره وشاحاً كتبوا عليه اسم الطريقة ، قلت له : يا أخى ، ان كنت تلبس هذا الوشاح ليعرفك الله ؛ فالله أعرف بك منك ، وإن كنت تلبسه ليعرفك الناس فأنت مُراء ، على شفا حفرة من الشرك بالله !

فإذا بالرجل يخلع وشاحه وهو يقول : أنقذتنى أنقذك الله من السوء ، فيا ليت قومي يعلمون بهذا ؛ فإنه خطير وفيه رياء كثير .

(هـ) أما العمامم الملونة : فلم يشب أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لبس منها مع البيضاء إلا السوداء في يومى « أحد ، وحنين » حين هُزم المسلمون ،

(١) لازالت دار ابن لقمان موجودة بالمنصورة ، وقد حولت إلى محف معروف .

(٢) وفي حديث آخر : « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله ،

ثم يلهب فيه النار » رواه أبو داود ، وابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وأذاع الشياطين أن رسول الله قد قتل ، تخذيلاً لجماعة المسلمين ، فلبس رسول الله ﷺ هذا اللون لفتاً للأنظار ، وتكديماً لدعوى المشركين ، وإذن فقد لبسها لسبب معين ، فى وقت معين . كما قرره أهل العلم . ثم لبسها (الشيعة) حزناً على استشهاد الحسين ، كما لبسها العباسيون لأمر ما .

أما القول بأن : الصفراء كانت علامة الملائكة يوم بدر ، فلا دليل من العلم عليه .

وأكثر ما روى عن رسول الله ﷺ : إنما كانت عمامته بيضاء كالعمامة ، وكل ما جاء فى ألوان العمامم، فحديث واه شديد الضعف ، أو حديث موضوع ، وكلاهما لا يؤخذ به . وخصوصاً من الصوفية : فإنهم يجعلون خلاف الأولى ، فى رتبة الحرام .

غير أنه ثبت أن الصحابى الجليل (أبا دجاجة) كانت له عصابة حمراء ، سماها (عصابة الموت) كان يلبسها إذا غامر فى صفوف الأعداء . فسئل فقال : حتى يعرفنى بها المسلمون ، إذا شرفنى الله بالشهادة ، فقد لبسها لسبب غير الشهرة والترفع والزهو على خلق الله ، وقد كره رسول الله ﷺ الثوب الأحمر غير المخطط .

أما العمامة الخضراء فقد أحدثها السلطان (شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون) أيام حكم المماليك . وخص بها آل البيت لبعض الأسباب ، كما نقله العدوى فى (مشارق الأنوار) ، والشبلنجى فى (نور الأبصار) ، على أن للعلماء فيها رأياً مضاداً .

فإذا لبس الناس عمامتهم الملونة على أنها « عادة » فلعله لا يكون بها بأس .

أما إذا لبسوها تعبدًا ، أو تمذهبًا ، فلن يكون معهم كتاب ولا سنة ثابتة ؛ لأنها إما أن تكون تعصبًا للمذهب ، والنبي ﷺ يقول : « ليس منا من دعا إلى عصبية »^(١) .

(١) ومن نصوص الحديث : قوله ﷺ : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود .

وإما أن تكون تزكية للنفس ، وإعلاناً عن الشرف : والله يقول :
﴿ لا تزكوا أنفسكم ﴾^(١) ، وإما أن تكون تعبدًا . وإنما يُعبد الله بما
شرع .

وإما أن تكون تبركاً ، ولا تكون البركة إلا فيما أذن فيه الله
ورسوله : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾^(٢) فليكن إذن
لبسها على سبيل العادة ، خروجاً من الحرج ، لمن يشاء ، إذا ضمن ألا
يجرّه لبسها إلى الرياء والتعالى والسمعة وغضب الله ورسوله .

* * *

السؤال الثالث عشر

ما حكم الاعتقاد في قدرة بعض الأشياخ على الاطلاع على الغيب ؟
وقد نفى القرآن عن الرسول ﷺ نفسه علمه بالغيب ؟

الجواب :

هذا الباب مما لا ينبغي فيه التعميم المبهم ؛ فإن الغيب نوعان :

١ - غيب حقيقي .

* * *

٢ - وغيب مجازي .

فالغيب الحقيقي : ما كان في مكنون العلم الإلهي ، لا يحيط به إلا

الله وحده .

أما الغيب المجازي : فما قد كشف الله عنه لمن شاء من خلقه ، فهو العلم الذي تنزل به الملائكة والروحُ بإذن ربهم من كل أمر ، وبخاصة حين - يُفَرَّق - في ليلة القدر - كل أمر حكيم - (ومن معاني الفرق : الكشف ، والإظهار ، والبيان) .

ومما يدخل في الغيب المجازي : ما يكون من الأحداث الكونية التي تقع في منطقة ما ، فيراها ، أو يعرفها من هم حولها ، ولا يراها ولا يعرفها الآخرون .

فالغيب الحقيقي : لله وحده ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ (١) .

وقد يتفضل الله على بعض رسله فيحيطهم علماً بما يشاء من علمه ؛ تأييداً لهم ، وتعجيزاً لخصمهم ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد ، إلا من ارتضى من رسول ﴾ (٢) ، كما كان عيسى ﷺ ينبيء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم (٣) ، وكما حدثنا رسول الله ﷺ - في

(١) سورة : الأنعام ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الجن ، الآية : ٢٧ .

(٣) راجع الآية رقم ٤٩ من سورة : آل عمران .

أعلام نبوته - عن وقائع وأحداث جاءت في حياته وبعد مماته ، كما حدث بها بكل تحديد .

وهناك نفر من أهل الله - ولله أهلون من عباده ، كما صح في الحديث الكريم^(١) - فربما أفاض الله على بعضهم ببعض الغيب الحقيقي أو المجازي ، فضلاً منه ونعمة ، كما قال تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾^(٢) أى أن هؤلاء يحيطهم الله بشيء من علمه شاء لهم ، وهم ليسوا برسول ولا أنبياء .

ومعنى كل هذا : أن الله تعالى يتعطف على بعض الخواص من عباده بما يشاء من بحر علمه ، فلا أحد يستطيع أن يحيط بشيء من علم الله بقدرته بشخصيته أو إرادته ، إلا أن يشاء الله ! وهو قوله تعالى - على لسان نبيه ﷺ : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ﴾^(٣) أى فلا أعلم إلا ما علمنى ربي ، وما كشف عنه لى ، ومن هذا الوجه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾^(٤) وقوله على لسان يوسف ﷺ فى تأويله الرؤيا : ﴿ ذلكمما علمنى ربي ﴾^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾^(٦) . . . الخ .

كل هذا فى الغيب الحقيقى .

أما المجازى : وهو ما خرج من نطاق المكنون الربانى ، فلا يمتنع أن تكون هناك وسائل للإحاطة به .

وقد فصل الإمام الألوسى هذا الجانب تفصيلاً مفيداً حاسماً .

وقد يكون من هذه الوسائل : صفاء النفوس بطول ملازمة العبادة والاستغراق فيها ، وعدم الانشغال بغير الله - شأن أولياء الله الصالحين .

(١) الذى رواه الأئمة : أحمد والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم عن سيدنا أنس رضي الله عنه « إن لله أهلين من الناس » . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

(٢) آية الكرسي .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ . (٤) سورة الكهف ، الآية : ٦٥ .

(٥) سورة يوسف ﷺ ، الآية : ٣٧ . (٦) سورة النساء ، الآية : ١١٣ .

وقد يكون من هذه الوسائل ما هو آلى فلسفى ، كالذى نراه فى
فقراء الهند .

وقد يكون من هذه الوسائل استخدام الشياطين ، كما جاء فى
الصحيح : « إن الشياطين يذهبون فى العنان فيخطفون الكلمة من الملك ،
فيقرونها فى آذان الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة »^(١) .

وقد يكون من هذه الوسائل تطوعُ بعض صالحى الجن ، بما لا بأس
به مع بعض الصالحين من الإنس . وقد يكون بأسباب أخرى كثيرة جدا ؛
فالأمر متشابه متشعبٌ دقيق ، لا تحكمه العواطف المنفعلة

وبين أيدينا من التجارب الواقعية ما يغطى كل هذه الأنواع وغيرها ،
مما لم نُشر إليه ، وهو كثير .

وهذه الأصول كلها يجب أن يستنبطها من يتصدى للحكم على
الغيب ؛ فإن فتنة تعميم الأحكام ، والتحويل والإيهام ، كثيراً ما تخرج
بطرفى القضية عن المنهج العلمى ، أو العلم المنهجى ، فلا يتحقق
إنصاف ، ولا يُنصف تحقيق .

* * *

(١) وروى البخارى أن الملائكة تنزل فى العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر
قضى فى السماء - فيسرق الشيطان السمع فيسمعه ، فيوحيه إلى الكهان ، فيكذبون
معه مائة كذبة من عند أنفسهم « راجع الزواجر لابن حجر

السؤال الرابع عشر

(س) ادعاء العصمة للأشياخ؟

الجواب:

العصمة للأنبياء وحدهم ، أما غيرهم ، فلو صحَّت لهم العصمة لكانوا أنبياء ، ولا نبوة بعد سيدنا المصطفى ﷺ ، ولم يقل بالعصمة لبشر بعد النبي إلا (الشيعة) الذين أعطوا أئمتهم هذا الحق بأدلة قبلوها هم ، وليس في الصوفية الراشدين من يقول هذا القول في شيخ له ، « ولا عبرة بالمتصوفة ولا المستصوفة » .

لكنهم نقلوا عن أبي الحسن الشاذلي قوله : « إن الله يتفضل على وليه » بالحفظ « كما يتفضل على نبيه (بالعصمة) » والفرق بين الحفظ والعصمة ، فسيح الأبعاد .

وحسبك أن العصمة هبة ومنحة ، والحفظ كسب وأثر للاجتهاد والاحتياط والورع ﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ . وقد قررنا أن المتطرفين والغلاة موجودون في كل مذهب ودين ، وبغيهم على أنفسهم ، لا على المذهب ، ولا على الدين .
كما قررنا أن الغلاة وُجدوا في عهد رسول الله ﷺ ، فردَّهم وأمرهم بالتشبه به .

* * *

السؤال الخامس عشر

(س) ما حكم توارث المشيخة في أبناء الأسرة الواحدة؟

الجواب .

إذا وُجد في الأسرة من هو أهل لحمل عبء الدعوة ، فلا شك أنه أحق وأولى من كل الوجوه ، وفي القرآن أن الله فضل آل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾^(١) ومن ثم كان سيدنا إبراهيم أباً لجميع الأنبياء ، أى أن الأنبياء جميعاً كانوا من أسرة واحدة ، فلا اعتراض من جهة الشرع أو العقل على ذلك ، ما دام يحمل الأمانة من هو أهل لها ، وقد ورث سليمان داود ، واستورز موسى أخاه هارون ، ودعا زكريا ربه : ﴿ هب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾^(٢).

وفي الصحيح يقول ﷺ : « من كنت مولاه فعلى مولاه »^(٣).

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ .

أما إذا فقد شرط الصلاحية والكفاية ، كان ذلك إقطاعاً بشرياً ، لا يعرفه دين الله ، ولا يقبله نظام الانضباط الاجتماعى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون ﴾ ثم نذكرو هنا نوحاً وابنه ، وفرعون وامراته .

* * *

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة مريم (عليها السلام) ، الآية : ٥ ، ٦ .

(٣) رواه الإمامان : أحمد ، وابن ماجه .

وروى الأئمة أحمد والنسائي والحاكم : « من كنت وليه فعلى وليه » .

السؤال السادس عشر

(س) تعيين ولى الله بالاسم ؟ مع أن الولاية سر بين العبد وربيه ؟

الجواب :

سبق أن قررنا أن للولاية « مواصفات ، وعلامات » ، فمن تحققت فيه هذه العلامات ، فهو ولى الله ، بالنص القرآنى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾^(١) وفى الآية ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾^(٢) فإذا تحصلت الولاية - وللإيمان والتقوى والصلاحية إشارات وعلائم ، ولها روائح وملامح معروفة بين الناس . فإذا ما تحققت - أطلق الله ألسنة خلقه بحسن الذكر ، وطيب السمعة ، وإفاضة البركة ، وفى الحديث المشهور : « إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل إني أحب فلانا فأحبه ، ثم يكتب له القبول فى الأرض والسماء »^(٣) ، فالولاية وظيفة إلهية فى الأصل ، فإذا تسنى أن يعرف الناس صاحبها ، وأطلقوا عليه مقتضى وظيفته ، فلا أظن أن بذلك بأساً ، على أن من أولياء الله من هو مستور مغمور ، على قدم العبد الصالح صاحب موسى عند مجمع البحرين ، والعبد الصالح أويس القرنى ؛ فأولياء الله نماذج للإنسانية الكاملة ؛ لأنهم الممثلون الشخصيون للحضرة النبوية فيما ندبهم الله إليه .

ويجب أن يكون مفهوماً : أن الولاية شىء ، والبلاهة شىء آخر .

فمن شروط الولاية : تمام العقل ، والفقہ بدين الله .

أما الأبله : فلا نعتقه ، ولا نتقده .

أما إطلاق الولى على من ميز نفسه بملبس خاص ، ووضع خاص ، وأسلوب حياة خاصة ، ولم يتحقق فيه أوصاف الآيات : فطوى الناس تحت لواء الشعوذة والتهريج ، والدعوى ، واختلاق الكرامات ،

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٩٦ - (٢) سورة : الاعراف ، الآية : ١٩٦ .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة رضي الله عنه ورواه الترمذى عنه أيضا .

والخوارق ، فذلك ولى الشيطان وحزبه ، فلا يفلح حيث أتى ، وإن
اجتمع عليه الثقلان ، فإنما هو حيثئذ من طلائع المسيح الدجال . وكثير ما
هم ، وكثير أتباعهم .

ثم تأمل : هل أحد أكثر أتباعا من أبلّيس ؟

فكثرة الأتباع لا تدل على حقيقة الولاية ، بل قد تكون نوعا من
الفتنة والابتلاء الإلهي

* * *

السؤال السابع عشر

(س) ما هو القول في شفاعة الأولياء لأتباعهم ؟ وحضورهم عند سؤالهم ؟

الجواب :

شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض يوم القيامة أمر لا خلاف عليه بين المسلمين ، وإذ ثبتت الشفاعة لمجرد الأخوة في الإسلام ، فلعلها تكون أثبت إذا اجتمع مع الأخوة في الإسلام أخوة أخص منها في الله ، فلا يُستبعد أبداً أن يشفع مؤمن في مؤمن بإذن الله ﷻ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (١) .

لكن من غير المقبول أن يشيع بين بعض الطوائف أن شيخهم يحضرهم عند السؤال في القبر ، وقد دسّوا مثل هذا الهراء في تاريخ (أبي الحسن الشاذلي) وهو منه براء ، كما دسوه في تاريخ بعض أئمة الصوفية الآخرين ، وهو مخالف للعقل ، والتاريخ الصحيح ، والنقل جميعاً .

ولقد كان رسول الله ﷺ أولى بذلك مع أصحابه .

سألتُ أحدهم : لو أن عشرة (مثلاً) من أتباع الشيخ في عدة بلاد أو دول متباعدة ، أو حتى في بلدة واحدة ، وقد ماتوا جميعاً في وقت واحد ، وهم يُسألون في وقت واحد ، فمع من يكون الشيخ يا ترى ؟ أم أن الملائكة تنتظر حضور الشيخ حتى يفرغ من وجوده مع الآخرين ؟؟ (فعبس وبسر . ثم أدبر واستكبر) .

ثم ما هو الدليل من كتاب الله وسنة مصطفاه ﷺ ؟

لا دليل . ولا استئناس ، ولا نظر ، ولا استصحاب بالمرّة .

(١) آية الكرسي .

وإن من علمائنا من يرى في تصديق ذلك مزلقا إلى الوثنية .
ولعل من أشد ما يتألم له المرء أن يأخذ بعض الصالحين هذه القضايا
الدخيلة على التصوف بحسن النية ، ويرددوها على أنها حقائق ، لأنها
وُجِدت مطبوعة في بعض الكتب ، وقد دسها من دسها على الشيوخ ،
بلووم وخبث نية .

إن بعض الكتب المطبوعة تقول : (إن الله ثالث ثلاثة) فهل نأخذ
بهذا الشرك ، لأنه مطبوع في كتاب ١٩٩ ؟
فاعتبروا يا أولى الألباب .

* * *

السؤال الثامن عشر

(س) لماذا الاهتمام بصناديق النذور بحيث يندر أن نجد ضريحاً كبيراً ليس به صندوق نذور؟

الجواب :

النذر في ذاته مشروع ، وإن كان لا يرد قضاء .
 فالله يقول : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾^(١) ، ومدح قومًا فقال : ﴿ يوفون
 بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا ﴾^(٢) ، ويقول : ﴿ وما أنفقتم من
 شيء فهو يُخلفه ﴾^(٣) ، وقال ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطع ،
 ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »^(٤) .

والنذر قديم في الشرائع السابقة كما جاء عن مريم وأمها في سورة
 (آل عمران)^(٥) .

والنذر أصلًا لله و (من نذر لغير الله فقد أشرك) يعنى عمل عمل
 أهل الشرك ، وإن لم يخرج من الملة ، فإذا اتضح هذا التأصيل ، كان لا
 بأس بأن تُجمع النذور بطريقة واعية ، لتُصرف على أهلها ، وعلى وجوه
 الخير ، التي تعود على المسلمين بالأهدى والأجدى ، وتعود على من كان
 سببًا فيها ، وعلى فاعلها بالأجر والثوبة .

(س) لكن هل أسلوب جمع النذور وتحصيلها ، وصرفها الآن
 يتناسق مع المقصود منها؟

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الإنسان ، الآية : ٧ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ٣٩ .

(٤) رواه الإمام أحمد ، والبخارى ، والأربعة : مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ،

وابن ماجه .

(٥) وهو قوله تعالى عن أم السيدة مريم عليها السلام أنها قالت : ﴿ إنى نذرت

لك ما فى بطنى محرراً ﴾ ، وقول مريم عليها السلام : ﴿ إنى نذرت للرحمن صوماً

فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ .

الجواب :

هذا تُسأل عنه الدولة ، فلوائح صناديق النذور تكاد تحصر حصيلتها في كبار موظفي المساجد ، وأعضاء لجان الحصر ، إلا ما عسى أن يزيد من مقررات أولئك جميعا ، فهو يعود إلى وزارة الأوقاف ، وليس كذلك مراد الناذر ، ولا مراد الشارع ، ولا مراد رجل الشارع ، بل يتعين وضع النذر في موضعه الصحيح ! .

وعندما يكون الناذر جاهلا ، فيقول مثلا : هذا النذر للسيد البدوي ، أو السيدة زينب ، أو غيرهما ، فعلينا أن نُعلِّمه أن يقول : « النذر لله ، وثوابه للبدوي أو السيدة » أو نحو ذلك ، ولا نرميه بكفر ولا شرك ؛ فمراده صحيح ، وتعبيره خطأ .

ولتذكر أن سيدنا (سعدة) رضي الله عنه عندما حفر بثره المعروفة ، قال : (هذه لأم سعد) ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ؛ لصحة قصده .

وانتظام هذا التعبير مع علوم اللغة العربية سليم : فهو في اللغة على حذف مضاف تقديره (هذه لرب أم سعد) ، فالقائل (هذا للسيد البدوي ، أو للسيدة ، أو للحسين) يريد أنه (نذر لرب السيد ، أو السيدة ، أو الحسين) وإن لم ينطق بلسانه ، كما حدث تماما من سعد بن أبي وقاص ، وإنما الأعمال بالنيات ، لا بالكلمات .

كلمة أخيرة : لقد أتعبتني يا كمال^(١) يا ولدي - وطوّفت بي هنا وهناك ، وقد طاوعتك رجاء تصحيح بعض المفاهيم لوجه الله . وقد أجبته (بغاية الاختصار) على ما سألت من أسئلة ، بعضها يحتاج إلى سعة كبرى في الوقت والبيان ، والدليل والتعليل ، وقد أكون مصيبا أو مخطئا في حكم أو في أحكام وما أبرئ نفسي ، ولا أذكر على الله أحدا ، وهذا شأن البشرية ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾^(٢) ، وأنا أسجل رأبي ، ولا أحمل أحداً عليه ، كما لا

(١) الأستاذ « كمال فرغلي » الصحافي المعروف بجريده التعاون .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٢ .

أقبل ان يحملنى أحد على رأيه ؛ فهذه فروع اجتهادية ، تختلف فيها
الأنظار والأفكار . وستبقى كذلك إلى يوم القيامة ، وليس على الأرض
من يسجل قولاً وهو يظن أنه يدخل النار به .

فأسأل الله أن يجعل لى ما كسبتُ من صواب ، وأن يغفر لى ما
اكتسبت من خطأ ، هو قطعاً غير مقصود ، وهو الغفور الودود .

وبهذا أكون قد أجبْتُ على أهم ما سألتُ ، مما ينفع الناس ويمكث
فى الأرض إن شاء الله ، ومنه يظهر بكل الوضوح : أنه ليس هناك
خلاف بين الصوفية وبين غيرهم من أهل السنة ، إلا فى بعض صور
الفهم ، وتحليل المضامين التى جعلت الصوفية يهتمون بالقلوب والتربية
والأخلاق، والاعتصام بمقامات التسامى والربانية؛ فالتصوف مذهب إسلامى
أصيل ، من مذاهب أهل السنة التى لا بد منها للحياة الصحيحة .

وإذا كان الصوفية يدعون إلى الأخلاق وبناء داخل الانسان بعد أن
تهدم وتحطم ، فهم إنما يعملون غاية ما يجب على الإنسان لاستعمار
الأرض والاستخلاف عليها ، وتنقية الحضارة من أوزارها وأضرارها ،
واستقرار الأمة بأفرادها على ما لو لم يكن لهلكت ، وها نحن قد
جربنا ، وضرب الله الأمثال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، ونستغفر الله
ونتوب إليه .

* * *

البرج الثاني

أسئلة جريدة الأهرام
سألها الأستاذ الكاتب الإسلامي المعروف
الأستاذ « سامي دياب » قال :

السؤال الأول

يقولون : إن التصوف استقى نظرياته في الحلول ، والاتحاد ،
والوحدة ، وحكمة الإشراق ، وكل هذا من مبادئ الشيعة الرافضة ،
والإسماعيلية ، ومصادر أخرى أجنبية ، كالعقيدة الفارسية ، والمذاهب
الهندية ، والنصرانية ، فابتعد التصوف بذلك عن تعاليم الإسلام .

الجواب :

للناس أن يقولوا ما يشاءون ، ما دام لا يربطهم علمٌ منصف ، ولا
خُلُقٌ عاصم ، ومن البدهيات ، أن التصوف الإسلامي في ذاته شيء ،
وما اندس فيه أو أدخل عليه شيء آخر ، والحكم على الشيء بما اندس
فيه : حكم على المدسوس ، لا على الشيء نفسه ، وما أضرَّ العلم إلا
أساليب التعميم والتهويل ، والعصية للرأى بلا تحفُّظ ولا احتياط .

إن التصوف الإسلامي هو : روح الكتاب والسنة ، قولاً وهداً . أقر
به كافة أئمة الصوفية ، من السلف والخلف ، وأقرَّ به المنصفون من
الأجانب ، الذين تحدَّثوا عن التصوف ، وقد عرفوا التصوف بعشرات
التعريفات ، التي تدور كلها في هذا المجال ، باختلاف منازل الرجال
ومواقف السلوك ، فإذا اندس على هؤلاء السادة ما ليس لهم به علم ،
فقد اندس من قبل في كتب الفقه ، والتوحيد ، والسيرة النبوية ، بل في
كتب الحديث الشريف ، والتفسير ، ما لا قبل لهذه العلوم به ، ولكن
الله نذب من أهل العلم من ميزوا الخبيث من الطيب ، فلم يترك الناس
الفقه ، ولا التوحيد ، ولا التفسير ، ولا السيرة ، من أجل الدخيل ، أو
الدسيس ، فما أخذ علماء هذه المواد بما مزجه الوضَّاعون في علومهم ،
ولا تركوا سنة الحبيب ﷺ من أجل آلاف الموضوعات والأكاذيب التي
تسربت إليها .

وكذلك بقية علوم الدين .

لقد حاولوا أن يدسوا على كتاب الله ما ليس منه ، والنبى حى ،

والوحي ينزل ، وما قصة الغرائق بمجهولة عند طلبة علوم الدين (على ما قيل فى سندها أو تأويلها) .

وهكذا يكون من العجيب ، أن يحاسب الصوفية على جريمة غيرهم ؛ أن يؤخذوا بخطأ لم يرتكبه ، بل هم قد نبهوا عليه ، وحذروا منه ، وراجع إن شئت ما كتبه (ابن الحاج) وهو من خاصة الصوفية فى كتابه (مدخل الشرع الشريف) وراجع بإمعان شرح الإمام السلفى المعروف « الشيخ ابن القيم الجوزى » على كتاب إمام الصوفية الكبير « الشيخ الهروى » رحمته جميعا ، ثم ما كتبه الإمام « الأخصرى » فى أرجوزته الصوفية الكبيرة من متأخرى الصوفية ، وما كتبه أخيراً الشيخ حسنين الحصافى ، ومن قبله الشيخ أبو عليان الشاذلى ، ثم الشيخ إبراهيم الخليل بن على الشاذلى ، ثم الشيخ عمران الشاذلى ، ثم المرحوم الشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية ، وهو من كبار أقطاب الصوفية باعترافه المكرر فى كتبه ، وبطريقته المفصلة فى رسالته المسماة « العهد الوثيق »^(١) وإن كره الكارهون .

ثم ما كتبه الشيخ (حسن البنا) الذى مزج دعوته بالتصوف الراشد مزجاً كان السبب الأول فى نجاحها وانتشارها ، ومن قبل هؤلاء كتب « محمد عبده » خير ما يكتب عن التصوف المستنير ، شأن كل منصف يريد وجه الله .

ولا يُقبل الاحتجاج بأمثال الخلاج ، وابن عربى والجيلى ، ومن حذا حذوهم ، ممن نقلوا التصوف من العمل إلى المنطق والتنظير ، فليس هؤلاء هم كل الصوفية ، فهم لم يزيدوا عن عدد الأصابع - عند التسليم بأنهم شطحوا ، أو تطرفوا ، أو تغالوا ، أو حتى انحرفوا - وهم بشر ، اجتهدوا ، وما كتبوه قابلٌ للتأويل ، وحسن التوجيه عند المنصفين ، فهو ليس للعامة ، وأمرهم فيه إلى الله من قبل ومن بعد .

ومن الظلم الشائن أن يقف الناقدون عند هؤلاء ، وينسوا أمثال الجنيـضد ، والقشبرى ، والسلمى ، وابن زروق ، وابن عطاء الله

(١) طبعت العشيرة (العهد الوثيق) للشيخ خطاب . ووزعتها بالمجان .

وأبي طالب المكي ، والهروي والسهروردي ، والغزالي ، والسيوطي ،
والسنوسي ، والدردير ، وأمثالهم ، سلفاً وخلفاً ، وهؤلاء أيضاً بشر
لهم خطأ وصواب .

ولكنهم من باب غير الباب .

إن التصوف هو : « التقوى » وهو « التزكية » قولاً ، وعملاً
وحالاً : حقيقةً ، ومثالاً ، وسيلةً ، وغايةً ، فعلاً وأثراً ، فما لم يكن
كذلك ، فليس من التصوف ، ووزره على صاحبه وحده ، وكما لا
يتحمل المسلمون أوزار المنحرفين من أهل القبلة ، فليس من الدين ولا من
الخلق أن يتحمل الصوفية الشرعيون أضرار من سبقوهم بالانتساب إلى
التصوف ؛ فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

ثم إنه لم يعد بيننا اليوم من يفهم رموزهم ، أو يقول بأقوالهم ، أو
يعتقد عقيدتهم - إن صح كل ما قيل عنهم - ولا تنس كيف دسوا على
الشعراني في حياته ، كما سجله في كتبه ، فكيف بعد مماته ! .

التصوف - يا ولدي - هو ربانية الإسلام ، هو : الصفاء ، هو :
بركة السماء ، هو : الحب : حب الله ، من حبه ينبثق حبُّ أحبائه ،
وحبُّ ما من أجله خُلِقَ الإنسان .

* * *

السؤال الثاني

عندما يُلغز الصوفية في أشعارهم وأناشيدهم بلفظ (ليلي ،
والكأس ، والخمر) ونحو ذلك تعبيراً عن مواجيدهم ، ألا ترى في ذلك
نوعاً من تسرب الطبيعة المكبوتة ، وجهرها بها ؟

الجواب :

اختار بعض الصوفية الإلغاز والإشارة والتحجية باستعمال المجاز
والكناية ، والاستعارات ، والرموز اللغوية ، تعبيراً عن أذواقهم ،
ومواجيدهم ، وأشواقهم . حتى اقتصوا بذلك وعرفوا بأهل الإشارة ،
لأسباب عدة منها :

(أ) عدم مساعفة الألفاظ والعبارات المألوفة لتصوير مداركهم
ومشاعرهم ؛ فكان اللجوء إلى الإشارة والرمز ضرورة ، لقربها من حسن
عرض المشاعر والأحاسيس ، وتصويرها ، والتعبير عنها .

ثم إن لكل علم مصطلحاً مستحدثاً ، وهذا اصطلاحهم الخاص
بهم ، فلماذا يؤاخذون على أنهم استقلوا بنوع من الاصطلاح ، ولا
يؤاخذ بقية أصحاب العلوم والفنون والحرف وغيرها ؟!

(ب) ومنها ظروف البيئة ، وفسادها بالتسلط والبطش ، والقهر ،
والعدوان ، واضطراب الرأي ، ثم الرغبة في إثبات الكيان الذاتى ،
والشخصية المستقلة للدعوة ، والحرص على عدم تمعُّع خصائصها ،
والتلويح بأنها طريق الخاصة فى محاولة لإنقاذ الأمة ، مما دهاها ، وتقويم
ما اعوج منها عندما استشرى الفساد ، وتحكَّم السوطُ والسيف فى الرقاب
ولم يبق للحرية أثر .

(ج) وخصوصاً بعد أن قام أول تجمع للصوفية فى العهد الأول ،
كثورة على الترف ، والاستعجام ، والانحلال الذى غزا البيوت
والأسواق . وحافظت عليه الطبقة « البرجوازية » كما نسميهم الآن ،
ومن ثمَّ تعرَّض كل ناقد أو منذر « فى الله » إلى ما لا يخطر بالبال

من العدوان عليه ، والمكر به ، والتدبير له ، والبطش بأعوانه ، شأن
عصور الدكتاتورية والقهر فى كل أمة حتى اليوم .

(د) لهذا ولغيره ، عدل الصوفية فى كثير من أشعارهم وأناشيدهم
وأحاديثهم إلى الرمز والإشارة ، واستعمال المجاز والاستعارة ، وربما
إلى ما يشبه الإلغاز والتحجية .

أما فكرة الكبت والتنفيس ، والتصعيد ، تطبيقاً لنظرية « فرويد »
فقد أثبت زملاء وتلاميذ هذا الفريرد اليهودى المنحل أنها نظرية غير
مُطَرَّدة ، ولا غالبية ، وقرروا جميعاً أن « فرويد » نفسه ، كان مشحوناً
بالأزمات والعقد التى لم ينفع معها تصعيد ولا تنفيس ، ولا تطبيق لشيء
من نظريته الجنسية الفاجرة .

(هـ) ولو سلّمنا بأن أقوال الصوفية ، فيها نوع من التصعيد والتنفيس
عن انفعالات حبههم لله ولرسوله ، ولما يحبه الله ورسوله ، وفنائهم عن
الكون بالكون ، وعن الأثر بالمؤثر ، لكان تسرباً محموداً ، لطبيعة طيبة
مكبوتة ، فى مستودع الحب الربانى المكنون ، فتصبح عبادة أشبه بدعاء
المضطر ، الذى يناجى ويتهل ، تنفيساً عما يجد ، فيرق ويروق ويرقى ،
حتى يكون أهلاً لاستجابة الدعاء ، اليس كذلك ؟!

أما معانى المصطلحات ، فتطلب من كتبهم ، وخصوصاً ما كتبه فيها
الشيخ ابن عجيبة ، والشيخ على وفا ، ومن قبلهم وبعدهم

* * *

السؤال الثالث

(س) ما رأيك فيما يقوله أبو حامد الغزالي من : « أن العقل يعجز عن كشف أو معرفة الحقيقة اليقينية التي هي « الله » ، وأن القلب وحده هو القادر على ذلك بالكشف ، إذا أخذت النفس بالطاعة والإخلاص ، وربما استطاعت عين القلب أن ترى الله يقظةً ، وفي حال الصحو » ؟

الجواب :

أما عن الجزء الأول من السؤال ، فقد أجمع المسلمون على عجز العقل عن إدراك حقيقة الذات المقدسة ، وذلك لأن العقل حادث ، والحادث لا يحيط بالقديم ، ثم لأن العقل محدود ، والمحدود يستحيل أن يحيط بغير المحدود ، ثم لأن الإدراك أثرٌ للتصور ، وكل تصور بشري : مدموغ بالنقص . وتعالى الكامل أن يدركه الناقص ، ومن هنا جاءت القاعدة الراشدة : (كل ما خطر ببالك ، فالله بخلاف ذلك) وجاء في الأثر « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله » (١) .

أليس المنطق تعلم آلة من الآلات للاستعمال العقلي ؟ فماذا ترى والقضية المنطقية بكل شروطها تثبت الأمر الواحد في ترتيب آخر ، وهي هي ، وهو هو ؟! فعدم إدراك العقل للذات العلية ، قضية مفروغ منها « عقلا ونقلا » ولذلك قالوا : « ترك الإدراك إدراك ، والبحث في الذات كفر وإشراك » .

وأما عن الجزء الثاني ، وهو قدرة القلب على الكشف ، باستصحاب الطاعة والتصفية والإخلاص ، فلعل سر ذلك : أن الله تعالى جعل القلب مستودع الأسرار ، وخزينة الانفعالات المتقابلة ، ومستقر عجائب المعاني والغيوب ، فالبصر للملك ، والبصيرة للملكوت .

(١) وورد : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » [رواه أبو الشيخ ، والطبراني في الأوسط ، وابن عدى ، والبيهقي في شعب الإيمان] .
وروى أبو نعيم في الحلية : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله » .

فمثلاً :

القلب مستقرّ الإيمان ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾^(١) ،
وهو محل الألفة والحب ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾^(٢) ، وهو محل الطمأنينة
﴿ أَلَا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾^(٣) ، وهو محل التمحيص ﴿ ولیمحص
ما فی قلوبهم ﴾^(٤) ، وهو محل السلامة ﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾^(٥)
وهو محل الذكري ﴿ إن فی ذلك لذكری لمن كان له قلب ﴾^(٦) ، وهو
محل التقوى ﴿ ومن یُعظم شعائر الله فإنها من تقوی القلوب ﴾^(٧) ،
وهو محل السكينة ﴿ أنزل السكينة فی قلوب المؤمنین ﴾^(٨) ، وهو محل
الرفقة والرحمة ﴿ وجعلنا فی قلوب الذین اتبعوه رافة ورحمة ﴾^(٩) ، وهو
الربط الإلهی ﴿ وربطنا علی قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والأرض ﴾^(١٠) ، وهو محل الوجع ﴿ الذین إذا ذُكر الله وجلت
قلوبهم ﴾^(١١) ، وهو محل الخشوع ﴿ ألم یأن للذین آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله ﴾^(١٢) ، وهو محل الفقه ﴿ أم لهم قلوب لا یفقهون
بها ﴾^(١٣) . . . الخ . فهو هنا مشرق الأنوار ، ومهبط الأسرار .

وفي المقابل نجد القلب محل الغل ﴿ ولا تجعل فی قلوبنا غلا للذین
آمنوا ﴾^(١٤) ، وهو محل الزيغ ﴿ فأما الذین فی قلوبهم زیغ فیتبعون ما
تشابه منه ﴾^(١٥) ، وهو محل المرض ﴿ فی قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضاً ﴾^(١٦) ، وهو محل الغيظ ﴿ ویذهب غیظ قلوبهم ﴾^(١٧) ، وهو محل
الريبة ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾^(١٨) ، وهو محل الرين ﴿ كلا بل ران علی

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة الحجرات ، الآية : ٧ . | (٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٣ . |
| (٣) سورة الرعد ، الآية : ٢٨ . | (٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ . |
| (٥) سورة الصافات ، الآية : ٨٤ . | (٦) سورة ق ، الآية : ٣٧ . |
| (٧) سورة الحجج ، الآية : ٣٢ . | (٨) سورة الفتح ، الآية : ٤ . |
| (٩) سورة الحديد ، الآية : ٢٧ . | (١٠) سورة الكهف ، الآية : ١٤ . |
| (١١) سورة الأنفال ، الآية : ٢ . | (١٢) سورة الحديد ، الآية : ١٦ . |
| (١٣) سورة الاعراف ، الآية : ١٧٩ . | (١٤) سورة الحشر ، الآية : ١٠ . |
| (١٥) سورة آل عمران ، الآية : ٧ . | (١٦) سورة البقرة ، الآية : ١٠ . |

قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴿١﴾ ، وهو محل الامتحان ﴿ أولئك الذين
 امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ ﴿٢﴾ ، وهو محل الرعب ﴿ سألني في
 قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ ﴿٣﴾ ، وهو محل العمى ﴿ ولكن تعمى
 القلوب التي في الصدور ﴾ ﴿٤﴾ ، وهو محل الانغلاق ﴿ أم على قلوب
 أقفالها ﴾ ﴿٥﴾ ، وهو محل الفظاظة ﴿ ولو كنتَ فظا غليظ القلب لانفضوا
 من حولك ﴾ ﴿٦﴾ ، وهو محل الخصومة ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه وهو
 ألد الخصام ﴾ ﴿٧﴾ ، وهو محل الغفلة ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
 ذكرنا ﴾ ﴿٨﴾ ، وهو محل الحمية ﴿ اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
 الحمية ﴾ ﴿٩﴾ . الخ . فهو هنا مَجْمَعُ المكاره ، وملتقى مساختط الله .

وهكذا ، لن نستطيع تتبع وظائف القلب وحركاته ، المردى منها
 والمرضى ، مما يدل على أن القلب هو مستودع سر الله ، ومستقر غيبه في
 الإنسان ، ومن هنا جاء المعنى الدقيق في قوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله
 يهد قلبه ﴾ ﴿١٠﴾ وهداية القلب إلهام وتوجيه وأسرار، وكشوف ، وشهود ،
 ومعارف ، وسمو ، وترقّ في معارج القرب لتحقيق معنى الهجرة إلى
 الله والفرار المطلوب منا إليه ﴿١١﴾ . ولعل مما يكشف بعض أسرار القلب ،
 وكيف أنه خزينة النور الأقدس قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على
 قلبك ﴾ ﴿١٢﴾ فما أروع وما أبدع ، وما أمتع (على قلبك) لا على شيء
 آخر !!

فعلل إمامنا الغزالي ، وقد رأى القلب بهذه المنزلة ، وتحقق من أنه

-
- (١٧) سورة التوبة ، الآية : ١٥ . (١٨) سورة التوبة ، الآية : ٤٥ .
 (١) سورة المطففين : الآية : ١٤ . (٢) سورة الحجرات ، الآية : ٢ .
 (٣) سورة الأنفال ، الآية : ١٢ . (٤) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .
 (٥) سورة (سيدنا) محمد ﷺ ، الآية : ٢٤ .
 (٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ . (٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤ .
 (٨) سورة الكهف ، الآية : ٢٨ . (٩) سورة الفتح ، الآية : ٢٦ .
 (١٠) سورة التغابن ، الآية : ١١ .
 (١١) في مثل قوله تعالى ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ، الآية : ٥٠ من سورة الذاريات .
 (١٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٩٣ .

الكوة الوحيدة التي تطل منها الروح على عوالم الغيب ، ومساتير الخلق ، فلم يستبعد أن يهب الله عبداً صالحاً صافياً لحظة فيض ومدد ، يأخذه فيها عن نفسه ، ويشهده بفضلته حضرة قدسه ﴿ والله غالبٌ على أمره ﴾ وللصوفية في ذلك مقولات شتى .

إن مشاكل السمعيات والغيبيات ، وعجائب القضاء والقدر ، ومعقدات حكمة الخلق والأمر ، وخفى أسرار العبادات ، كل ذلك ، لا يحلُّ معضلاته إلا القلب ، بعد أن أفلس العقل في هذا المجال وتوقف ، ولا زال ، وسيظل كذلك .

ثم إن هذه من التجارب الصوفية التي لا مجال للتمنطق فيها ، وإنما هي من الجوانب العملية التي تثمر الأذواق والمواجيد ، وتتجاوب في آفاقها الأشواق ، فلا يُدركها تعبير ، ولا يلحقها تصور .

وعلى كل ، فهي من المذاهب الفرعية ، التي من شاء قبلها ومن لم يشأ رفضها : ما لم يجرب ، وكلاهما مقدور ، ولعله مأجور .

* * *

السؤال الرابع

(س) لماذا نشأ الصراع ، واشتد بين بعض الفقهاء والصوفية !؟
ولماذا يصر بعضهم على تكفير الصوفية ، كابن تيمية ؟
الجواب :

الصراع بين العلماء قديم ، والأسباب شتى ، حتى بين علماء المذهب الواحد . فكيف إذا اختلفت المذاهب والتهبت الحمية ، وتسلمت النعرة العصبية ، ونفخ الشيطان أو نزغ بين الإخوة ، وقد رأى بعض الفقهاء أن الصوفية يزاحمونهم السيادة والزعامة ، وأنهم بأساليبهم الروحية ، وما استودعوه من الرقة ، والأدب ، والمعرفة ، والمكارم ، والتسامي ، والترفع ، يجتمع عليهم الناس ، فيجدون عندهم راحة القلب والعقل ، وسعادة الروح والباطن ، وعلاج ما استعصى على الناس علاجه من عقد النفوس والأزمات ، على ارتباطٍ مريح بالله ، وثقة بالغة فيه ، وفقه تام بدينه .

كل هذا بالإضافة إلى ما عند الفقهاء من بضاعة العلم المجرد ، والتسلط ، ودعوى احتكار الصواب .

هذا في الأصل .

ويلي ذلك : ضيقُ بعض الفقهاء بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتيهم تأويله ، من قواعد الصوفية ، وخصائص دعوتهم ، والتزام هؤلاء الفقهاء بالوقوف على الشاطئ ، بينما سبح أولئك إلى الأعماق ، ومترامى الأبعاد . ثم دب بعد هذا في التصوف دبيب الدسيس والدخيل ، والمبتدع ، والمستنكر ، فوجد الفقهاء وأشباهم الفرصة سانحةً للهجوم ، لا على الدخيل والدسيس ، لتنقية هذا النبع الطيب عما شابه ، ولكنهم هاجموا النبع جميعاً بما شابه ، والنبع لا ذنب له - كما رأيت في جوابي على سؤالك الأول - ، ومؤخذاة النبع مما داخله : ظلم وتعسف .

وهنا لا بد من كلمة إنصاف لابن تيمية ؛ فإن الناس نظروا إلى

حملته على نوع التصوف الذي رجَّح وجوب الحمله عليه ، وتركوا
- ظلمًا - ما نعت به ابن تيمية التصوف الصادق ، والصوفية الصادقين
من كرائم النعوت ، ونوادير الخصائص .

راجع ما كتبه في (الفتاوى الكبرى) بالجزء الحادى عشر : فى
الصحيفة السابعة عشرة ، وكيف وصف الصوفية الأبرار بأنهم من (أجلّ
الصدّيقين ، وأنهم أكمل صدّيقى زمانهم) . . . الخ .

وفى « العقيدة الواسطية » لابن تيمية أيضا - قبيل نهايتها - كلام
عظيم جداً عن التصوف الحق والولاية ، وله كلام عظيم جدا فى حقيقة
الفناء الصوفى ، يعتبره الصوفية تأييداً وتشبيهاً لمذهبهم المتين .

وفى « ثبت »^(١) ابن تيمية ، نسبته الروحية إلى الإمام الجليل الشيخ
(عبد القادر الجيلانى) بجوار نسبه العلمية ؛ فقد كان الجيلانى من أئمة
الحنابلة ، الذين يتصل بهم النسب العلمى لابن تيمية ، وقد سبق أن
سجّلناه فى بعض ما كتبناه (بالمسلم) .

وهنا ملاحظٌ دقيقٌ جدا . هو : أنك لا تجد أبداً فى كل ما هاجم به
ابن تيمية من سبقه من أئمة الصوفية ، لا تجد إطلاقاً أى ذكر لشيخه
الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وهو القطب الصوفى الكبير . وحسبك
يا ولدى أن تعرف - كما قدمت لك - أن الإمام ابن القيم ، توفّر على
شرح كتاب الإمام الهروى ، الصوفى العظيم ، وأقرّه ، إلا فيما لا يكاد
يُذكر من بعض الأحكام والمواطن التى خالفه فيها ، فقد كان فى شرحه
صوفياً أكثر من الصوفية ، بل إنك تجد فى كثير من كتب ابن القيم تصوفاً
واضحاً . وبخاصة فى كتاب « الروح » وكتابه « الجواب الكافى »
وغيرهما ، وتستطيع أن تقول : إن ابن تيمية ، وابن القيم تلميذه ، رجل
واحد ، له اسمان مختلفان ، وهما على أكثر الوجوه صوفيان .

وفى المناظرة بين ابن عطاء الله ، وابن تيمية يعترف ابن تيمية

(١) ما كتبه عن طريقة أخذه العلم والتصوف ، ومن أخذ شيخاً بعد شيخ إلى
نهاية مشايخه .

بالتصوف السليم اعترافا مطلقا ، ويقرر، أنه لا يهاجم إلا ما ترجَّح عنده
خطؤه أو انحرافه .

وعلى كل . فقد مضت كل هذه القرون ، وخصوص التصوف
ينطحون صخرته الرابضة على مداخل الحق ، فلم تتغير حقيقته . ولم
تضعف دعوته - رغم ما لا يزال ينخر في جسمه من أمراض البدع
والمناكر والمستكرهات - وسوف يبقى التصوف الحق لواء مرفوعا فوق كل
الالوية ، تتهاوى ولا يهوى ، ويتعاوى أهلوها من حوله ، وهو لا
يعوى ، ولا يلوى ، ولا يذوى ، وتبيد الدنيا ولا يبيد . وأحب أن تتأكد
يا ولدئى ، أننى أحترم ابن تيمية ، وأذكر له مواقفه الطيبة من حروب
الصليبيين والتتار ، وربما أخذتُ ببعض آرائه الفقهية ، برغم حملته على
الصوفية بعامية ، وبرغم حملتى على كثير مما نُقل عنه فى هذا الباب ، وما
يتعلق به ، فالخصومة هنا لله وحده ، فهى خصومة علم وشرف .

* * *

السؤال الخامس

لماذا جاءت كتب الصوفية ومؤلفاتهم منذ القرن الثامن الهجرى :
خالية من الابتكار ؟ مقتصرة على الشرح والتفسير ؟
الجواب :

يا ولدى : « دفعُ المضرّات ، مقدّمٌ على جلبِ المنافع » وهؤلاء إنّما
كانوا فى موقف المدافع أمام حملات الخصوم التى لم تفتقر ، ولن تفتقر .
ثم ماذا تريد بالابتكار ؟ التصوف دين : « كتاب ، وسنة » وهم قد
بينوا وأوضحوا ، فلم يبق مجال لجديد فى البيان والإيضاح والبلاغ على
أساليبهم ، ولم يبق إلا التجديد فى العرض ، والدعوة - وذلك ماض
بحمد الله - فما أكثر ما كُتِبَ ويُكْتَبُ وسيكتب فى التصوف : ما له
وعليه ، إلى يوم القيامة .

ولو كان التصوف ميتًا ، ما هاجموه ؛ فالموتى لا يهاجمهم أحد ،
ولو كان ضعيفا لأشفقوا عليه ، أو لما اهتموا به ؛ فالضعيف لا يهجم
أحدا ، ولا يعنى به أحد ، فكل ما تراه الآن حول التصوف هو :
البرهان - الذى لا يُدفع - على حياته وقوّته ، وبالتالي على خلوده
وسطوته ، وعلى أنه الحق - والحق أحق أن يتبع .
أما دخيله ودسيسه ، فهو شيء آخر ، وله حكم آخر .

* * *

الْبَابُ الثَّالِثُ

أسئلة صحافية أخرى

بالغة الأهمية

وأجوبة صوفية وفقهية

قاطعة جلية

{ سألتها أحد الصحافيين العرب وطلب ألا يذكر اسمه } قال:

السؤال الأول

(س) يقولون : لم ترد كلمة صوفية أو تصوف في كتاب الله ، أو على لسان الرسول ﷺ أو الصحابة ، والله تعالى يقول ﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٢) .

الجواب :

التصوف ليس ديناً مستقلاً عن الإسلام حتى يواجهه بالاحتجاج بهذه الآيات ، وإنما التصوف مذهب من مذاهب المسلمين ، يدور في فلك الإسلام ، على أرقى وأنقى معانيه ، وكما جاز أن يسمي البعض أنفسهم (أو سماهم الناس) « سلفية » بلا نقد ولا اعتراض ، فكذلك سمي أهل هذا المذهب أنفسهم ، أو سماهم الناس « صوفية » ، ولا نقد عليهم ولا اعتراض ، فالحكم هنا وهنا واحد . وهو أشبه بقولهم : مالكي ، وشافعي ، وحنبلي ، وإباضي ، وزيدي ، ووهابي ، وسعودي ، وحافقي ، وظاهري الخ .

فالسلفية ، والتسلف ، والسلفي : ألفاظ لم ترد إطلاقاً لا في الكتاب ، ولا في السنة ، وهم يختصون أنفسهم بها ، ولا يرون بذلك بأساً ، بل يرونها فخراً وشرقاً .

والصوفية ، والتصوف ، والصوفي ، ألفاظ شأنها شأن تلك الألفاظ ، سواء بسواء ، وحكمها حكمها من كل الوجوه ، وليس كل اسم أو وصف لم يأت في القرآن ، أو السنة ، يحرم التسمي به ، وكذلك الألقاب والنسب ، فالاعتراض من هذه الوجهة ساقط ذليل ، لا يقول به عالم ولا عاقل .

ثم إنه إذا كان اسم (التصوف) غير موجود ، بلفظه ، فإن المادة والحقيقة موجودة ، شأن كل علوم الدين التي وضعت أسماؤها في عهد التدوين . ثم إن الإسلام محيط شامل لكل أهل القبلة ، سواء منهم

(١) آخر سورة الحج .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

الطيب والخبِيث ؛ فالقاتل من أهل القبلة (أهل لا إله إلا الله) مسلم .
وكذلك الزانى ، والسارق ، والمرابى ، والمرتشى ، والفاجر ، كما أن
الصالح ، والذاكر ، والمخبت ، والصابر ، والمتوكل ، والمجاهد ،
والمعطاء ، والعابد ، هو (من أهل لا إله إلا الله) ؛ فكل واحد من
هؤلاء مسلم عقيدةً ، وإن اختلف خلقاً وعملاً أو معاملة .

ومن ثم كان من التشريع القرآنى : أن يُعرف الناس بخصائصهم .
وعلى هذا السبيل جاء فى القرآن ذكر « المهاجرين والأنصار » وجاء
ذكر « الصديقين ، والشهداء والصالحين » كما جاء ذكر « السابقين ،
والمقربين ، والمخبتين ، والأولين ، والآخرين » ، وفى آية الأحزاب ﴿ إن
المسلمين والمسلمات ﴾ ذكر الله عشرة أصناف من المسلمين ، كما تناثرت
فى القرآن أوصاف أخرى ، لأهل القبلة غير وصف المسلم .

فإذا ذكرنا الناس بخصائصهم ، فذلك اقتضاء طبيعى حتمى للتعريف
والتصنيف ، لا يمكن أن يعترض عليه عاقل ولا عالم ، فهو من المسلمات
البدئية ، التى لا تخفيها المغاليط ، والجبهالات ، والتعصب الكريه .
فإذا أضفنا إليه « أنه كما رأيت - تشريع قرآنى متبع - كانت
الللجاجة حوله هرطقة عصبية لا احترام لها ، لمخالفتها للمنهج القرآنى ،
ثم لمعقولية الأشياء وطبائعها .

وعلى هذا السنن جاء فى القرآن ما هو مدنى ، وما هو مكى ،
وعرف الناس كثيرا من الصحابة بخصائص النسبة إلى أوطانهم الأولى ،
فقالوا : « بلال الحبشى » ، و« صهيب الرومى » ، « وسلمان الفارسى » .
كما ينسب كثير من الناس إلى الحرف ، والمهن ، والوظائف ،
والاعمال المختلفة ، بلا نكير فى كافة الأزمنة والأمكنة ؛ فالنسبة إذن إلى
المذهب أو الدعوة شىء لا بدعة فيه ، ولا حرمة ، ولا كراهة .

وهكذا يقال كما قدّمنا : مسلم شافعى ، أو مالكى ، أو حنبلى ،
أو شيعى ، أو وهابى ، أو مصرى ، أو شامى ، أو يمنى ، أو مغربى ،
أو صوفى ، أو سلفى ، بحكم الاقتضاء الذاتى والقواعد اللغوية ،
والمنهج القرآنى والطبيعة الحتمية المحكمة ، والضرورة العقلية الحاكمة .

جمعية كذا وكذا :

إن المغمين بتكرار هذا الاستشكال التافه ، هم بعض إخواننا من أتباع بعض الجمعيات المعروفة بمظهرياتها وتطرفها وسطحياتها .
ونحن نسأل هؤلاء الإخوة : هل جاء في القرآن أو السنة مثلاً « اسم الجمعية الفلانية ، أو العلانية ، أو جماعة كذا وكذا » .
إنَّ الحكمَ هنا ، هو الحكم هناك ، فكيف يكون هنا حلالاً ، ثم يكون هناك حراماً ؟

أيها الإخوة : شيئاً من العقل . . . شيئاً من العلم . . . بل شيئاً من الأخلاق !!

ومن جهة واقعه : ما هو الشيء الذي يراد باسم التصوف الإسلامي ؟

إنه هو : الإيمان ، والعمل ، والحب ، والأخلاق ، والعبادة ، والتسامي ، والدعوة ، والجهاد ، على أرقى مستوياتها جميعاً ، وهذه العناصر جميعاً ، وما يتفرع منها أمهات ومقامات التصوف كلها ، من الصبر والتوكل ، والعفو ، والرضا ، والشكر ، وغيره من أصول منصوص عليها في الكتاب والسنة باتفاق أهل القبلة .

وقد أطلقوا عليها اصطلاحاً : لفظ التصوف ، فأطلق أنت عليها ما شئت من الأسماء ؛ فإن الأسماء لا تغيّر الحقائق : سمّه : تنسكا ، أو تبتلا ، أو تركياً ، أو ربانيةً ؛ فالناس يتعاملون مع حقائق الأشياء ، لا مع أسمائها !!

أسماء علوم الإسلام :

ثم انظر معي يهدك الله : هل جاء في القرآن أو السنة اسم (علم أصول الدين) أو (علم أصول الفقه) أو (علم مصطلح الحديث) أو (علم الفقه المقارن) أو علم (التفسير) أو (مقارنة الأديان) أو (علم النحو) أو علم (البلاغة) أو (البيان) أو علم (الأخلاق) أو (علم الكلام) أو غيرها من العلوم الدينية ، أو العربية ، فضلاً عن

أسماء علم الحضارة والفنون، والثقافة، والرياضة، والطب، والفلك،
والذرة على تنوعها ومراتبها؟ طبعاً لا، ثم لا!!
فلماذا لا يوجه هذا الاعتراض على أسماء هذه العلوم، كما يوجه
إلى علم التصوف؟! .

وكيف يجوز الأمر الواحد في جانب، ويمتنع في جانب آخر، مع
التماثل المطلق في كافة الأركان القياسية والعلمية؟
هذه دعوى متهافنة من البداية للنهاية، دعوى الاضطغان،
والعصبية، والعنصرية، والمذهبية التي لا عقل لها، ولا علم بها ولا
خُلِقَ معها، ولا تقوى فيها، والإسلام والعقل - على وسع رحابه -
يرفضها، وينكرها، ولا يرضى عن أصحابها؛ فليس من ورائها إلا
الفتنة وتفتيت الإسلام، وضياح المسلمين، كأنما لم يبق من الموبقات
شيء، وهي بغير حدود ولا قيود .
الدخيل والمدسوس في علوم الدين .

وقد أكثروا القول بأنه: يجب القضاء على التصوف لما فيه من دخيل
ومدسوس .

نقول: فهل نقضى أيضاً على (الحديث النبوي) لأن فيه عشرات
الألوف من الدخيل والمدسوس؟! .

وهل نقضى على التفسير لأن بعض كتبه محشو بالعبانيات،
والخرافة، والتهويل، وبلاهة النقل، وسوء التأويل، والشطط،
وتأكيد الشعوذة؟! .

وهل نقضى على كتب (التوحيد) لما فيها من القضايا المنحرفة،
والأفكار المضطربة، والمذاهب المفتونة، والتصورات الضالة، والأقيسة
المضللة؟! .

وهل نقضى على كتب (الفقه) لأنها متخمة بالفروض المستبعدة،
والخلافات المستكرهة، والأفكار المعقدة، والحيل المنافقة،
والاستخراجات المؤسفة؟! .

ثم ، هل ، وهل ، وهل ، إلى آخر هذه السلسلة الطويلة !؟
إن المعقول المقبول : أن تطلب التبيان ، والنصح والتصحيح ،
وتجريد هذه العلوم من أمراضها ، ومما أصابها من الطفليليات ، والحشو
والتخلف ، والتجمد ، والفضول ، واللغو ، والالتواء ، والزغل .
وهذا ما فعله كثير من السلف رضي الله عنهم .

وهذا هو ما يجب أن يُطبق على علم التصوف تماما ، وإلا لم يكن
المراد الإصلاح أبدا ، إنما هو الهدم والتخريب والتدمير المجنون ، الذي
لا ينتسب إلى عقل ، ولا إلى خلق ، ولا إلى علم ، ولا إلى دين .
وهذا ما لا يمكن أن يرضاه مسلم يقدر معنى شهادة ﴿ لا إله إلا
الله ﴾ وما يترتب عليها ، وما يتعلق بها في الخصوص والعموم ، وفي
الحسّ والمعنى ، وفي الحاضر والمستقبل . والله لا يحب الظالمين .

* * *

السؤال الثاني

(س) : يقول بعضهم : ماذا يضر الإسلام لو أننا شطبنا التصوف من بيثة المسلمين ؟ (كما جاء في مقال بعض المجلات السلفية) .
الجواب :

الإجابة هنا في غاية البساطة؛ فالتصوف كما عرفه أهله بأنه (التخلّي عن كل دنيّ ، والتحلّي بكل سنّي) حسّاً ، ومعنى ، خصوصاً ، وعموماً ، مع الفرد والمجتمع ، على ما تقرر في كتاب الله وسنة رسوله ، وإن اختلفت المفاهيم والاجتهادات في الفروع ، وبخاصة فيما يتعلق بالأخلاق ، والآداب ، والسلوك ، والعبادة ، والدعوة .

فالتصوف بهذا المعنى هو : حقيقة الإسلام ، وهو ما نعتقده ، ونخدمه ، ونتعبد به ، وندعو إليه ، ونكافح دونه ، فإذا ما شطبنا كل هذا المعنى من الإسلام ، فما الذي يكون قد بقي من الإسلام ؟ .

أما التصوف بمعنى الحلول والاتحاد، والوحدة المحرمة ، وبمعنى الطبل ، والزمر ، والرقص ، والخرافة ، وتحريف أسماء الله ، والتعطّل، والتبطل ، والقول برفع التكليف ، أو مخالفة الشريعة للحقيقة ، ودعاوى الولاية ، والاتجار بالخوارق ، وما إلى ذلك ، فنحن والصوفية الشرعيون جميعاً : أول من نادى وينادى بشطبه ، كما نادى سلف الصوفية بشطبه ، وما تألفت (العشيرة) وجاهدت إلا لهذه الخدمة !!

ولكن إخواننا خصوم التصوف الحق ، يشعرون من قرارة نفوسهم بقوته ، وصموده ، وصحته ، وخلوده ، فيلجأون إلى التهويل ، والتعميم ، والنفخ في (بالونات) القشور ، والسطوح ، والمجازفة بإصدار أحكام : الشرك ، والردة ، والكفر ، والزندقة ، والفسق ، على كل من ليس منهم .

وهم معذورون - عند أنفسهم - بما نعلمه نحن وما يعلمونه ، مما تكفي فيه الإشارة عن العبارة .

أعاذنا الله من عبادة : المشالغ ، واللحى البترولية ، واتخاذ الدين وسيلة إلى الدنيا الفانية ، ولا قوة إلا بالله .

* * *

السؤال الثالث

(س) ولكنهم يقولون : إن ما يعترضون فيه على التصوف أمور تتصل « بلا إله إلا الله » ... بالتوحيد ؟

الجواب : إجماع السلف والخلف على أن « أهل القبلة كلهم موحدون » وما صدر من بعضهم « جهلاً أو تأويلاً ، أو اجتهاداً ، أو غيره ، من عمل أو قول ، وخصوصاً من المتشابه ، تَعَيَّن أن يُحْمَل على أشرف وأحب وجوهه ، وإن كان احتمالاً واحداً من تسعة وتسعين احتمالاً ؛ فليس من حق أحد أن يُخْرِج أحداً من دين الله ، إلا أن يكون كفرَ كفرًا « بواحا صراحاً » لا يحتمل العذر ، أو التأويل .

وليس كذلك شأن واحد من الصوفية الأبرار .

ألا ترى كيف غضب رسولُ الله ﷺ على ذلك الصحابي الذي قتل رجلاً نطق بالشهادتين « تقاة » وهو ﷺ يردد : « أقالها وقتلته ؟! » وكيف تبرأ الرسول من عمل الصحابي الذي قتل من قالوا « صبأنا » يريدون « وحدنا » وخرجنا من الكفر إلى الإيمان^(١) ، وكيف لم يعترض

(١) جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ج٤ ص٣٠٦ طبع الحلبي ما نصه : « عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها !! » فبلغنا أن ذلك ذُكر للنبي ﷺ فقال : « دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهباً ما بلغت أعمالهم » .

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان يوم صلح الحديبية ، وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بنى جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك « إهـ » .

وقال رسول الله ﷺ - فيما رواه الطبراني :

« لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه » .

رسول الله على سيدنا « سعد » عندما جعل عينَ الماء صدقةً على أمه .
وقال : « هذه لأم سعد » . وكيف أنه عليه السلام عصم دماء « المنافقين »
بنطق الشهادتين ، وهو يعلم أشخاصهم وأسرارهم ، وكيف أن الإسلام
قرر دفع الحدود بالشبهات^(١) ، ف « لأن يخطيء القاضى فى العفو خير
من أن يخطيء فى العقوبة » والمذاهب الإسلامية أولى بهذه القاعدة .

لهذا كله ، كان : كل من نطق بالشهادتين موحدًا ، معصوم الدم
والمال ، وإن جهل ، وإن عصى^(٢) .

وأخيرًا : هو من أهل الجنة بنص الأحاديث الثابتة فى كل ما
قدمناه .

أما إنه شيء يتصل بـ « لا إله إلا الله » ، فهل هناك شيء لا يتصل
بها ؟

كل شيء عرفه الناس أو يعرفونه ، من كل أقوالهم ، وأعمالهم ،
وأحوالهم ، وأفكارهم ، فهو متصل بـ « لا إله إلا الله » بوجه من
الوجوه ، وبحقيقة من حقائق الأزل والأبد .

ألم أقل لك : إنها السطحية ، والغرور ، وإنه التهويل ، وإنه
الخروج بالأشياء عن أسمائها وأحكامها ، وإلباس المسميات غير أسمائها
فى سبيل تأييد المذهب ، وتأكيد العنصرية التى يرفضها الدين والعلم ،
والخلق ، فى سبيل العمالة ، وبيع الدين ، والوطن جميعًا .

* * *

(١) لقوله عليه السلام : « ادروا الحدود بالشبهات » { رواه ابن عدى فى جزء له ،
وابن أبى شيبة والترمذى والحاكم ، والبيهقى ، والدارقطنى . وأبو مسلم الكجى ،
وابن السمعانى } .

(٢) قال رسول الله عليه السلام : « كفوا عن أهل « لا إله إلا الله » ، لا تكفروهم
بذنب ؛ فمن كفر أهل لا إله إلا الله ، فهو إلى الكفر أقرب » . { رواه الطبرانى }

السؤال الرابع

وهنا أذن مؤذن الوقت ، فقال السائل الصحفي للشيخ :
بهذه المناسبة : ما رأيكم فى الأذان الشرعى ، والبِدْعى ؟
فقال الشيخ : أرجو أن نتحدث فى هذا بعد الصلاة .
ثم بعد أن ختمت الصلاة ، قال الشيخ :
الجواب :

وهذه أيضاً من المسائل البسيطة ، والدقيقة فى الوقت نفسه ، لولا ما يثيرونه حولها ؛ فليس هناك أذان شرعى ، وأذان بدعى ، إنه الأذان الإسلامى ، فلا يجوز أن يسمّى مبتدعاً من يُذكرُ الناس بالشهادتين ، ويدعوهم إلى الصلاة والفلاح ، فى الوقت الذى حددته الشريعة ، وبالالفاظ الواردة ، وإن التوى بها لسانه ، أو تجاوز فى أسلوب الأداء .
ولكن هناك أذان « منعم » ، وأنا أميل إلى الأذان البسيط ؛ لأنه أسلوب عملى ، يستطيع أن يقوم به أكثر الناس ، بلا تكلف ولا صناعة ولا معاناة ، ولكننى أنكر طريقة الأداء التى يتعمدها بعضهم فى أداء هذا الأذان البسيط ، فيخرج به عن سماحته وحسن هديِهِ ، حتى لكأنه فى معركة ضارية مع الريح ، هى إلى الإزعاج والتحدّى والغل أقرب منها إلى الدعوة والتذكير ، وليس هذا من أذان الإسلام فى شىء على الإطلاق .

إن رسول الله ﷺ أمر صاحباً روى الأذان ، أن يعلمه بلالاً « لأنه أندى(١) صوتاً » . وقد سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يُفزع الناس بالأذان ، فقال له : « أذن أذانا سمحا ، والا فاعتزلنا » . وقد كان الناس

(١) قال فى القاموس : « وأندى . . . أو حسنَ صوته » .

« . . . وهو ندى الصوت - كفى - : بعيده » اهـ .

وقد جمع سيدنا بلال رضي الله عنه بينهما : كان جميل الصوت رفيعه .
وقال الشاعر :

وقلتُ ادعى وأدعو إنَّ أندى الصوت أن ينادى دعيان
أى أعلى وأرفع ، وأشد إسماعاً لمن يناديه .

- لعهد النبوة - يضربون المثل بأداء الأذان الجميل من « أبى محذورة »
أحد مؤذنى رسول الله ﷺ ، حتى قال بعض شعرائهم :
بما تلى محمدٌ من سوره وبالأذان من أبى محذوره
لأفعلن فعلةً مشكوره

فقرن حُسْنَ تلاوة رسول الله للقرآن بحسن أداء أبى محذورة للأذان

بقي من سؤالك : هل الأذان « جزم » أو « إعراب » !؟

هذا وارد ، وهذا وارد ، وقد ذكرتُ الحديث الدال على الإعراب
مسنداً مشروحاً فى بعض ما كتبتُ قبلاً (بمجلة المسلم) ، ثم اطلعت
أخيراً على بحث طيب للأستاذ « ناصر الدين الألبانى » وهو من كبار
(المتسلفه) يقرر فيه صحة الأذان بالإعراب ، مستدلاً بما استدلتُ به ،
مع زيادات أخرى .

والإعراب هنا : معناه ، جمع التكبيرتين مع (رفع) أى ضم الراء
فى التكبيره الأولى .

أما قولك « بأى صورتين كان يؤذّن لرسول الله ؟ » فذلك ما لا
يجرؤ عالم يخشى الله أن يحدّده على التعيين ؛ فإنه لم يكن لعهد رسول
الله « ريكردر » يسجل الصوت والأداء ، فمتى تحقق فى الأذان تصحيح
الألفاظ ، وحسن الإلقاء ، فذلك هو المشروع ، ولهذا اختلفت طريقة
الأداء والأصوات فى جميع بلاد المسلمين .

ولقد كنت فى صباى أذهب أحياناً - قبل أذان الوقت - مع بعض
لداتى من الأزهر إلى مسجد المرحوم « الشيخ محمود خطاب السبكى »
رحمته ، لأتمتع ومن معى بسماع الأذان من المرحوم « الشيخ سرحان »
مؤذّن المسجد وقتئذ ، فقد كان يؤذّن هذا الأذان البسيط بـ« حال » كما يقول
الصوفية : فيتأثر به كل من سمعه ، لدرجة البكاء فى بعض الأحيان .

أما الأذان « المنعم » فلا يجوز إذا خرج بالكلمات عن أصولها
المفررة فى علمى اللغة والتجويد : « لا شك فى ذلك » فهو لهذا
مكروه ، ولكنه لا يكون كبيرةً موبقة ، أو بدعة مهلكة .

* * *

السؤال الخامس

(س) : بهذه المناسبة ، لاحظت أن إمام الصلاة هنا ، لا لحية له ، وقد رأيت بعضهم لا يصلى خلف من لا لحية له ، بل يرميه بالفسوق ؟
الجواب :

لا يوجد مسلم واحد يقول بأن اللحية ليست سنة ، سواء أكان ملتحياً أم لا ؛ فسنتها ثابتة ، لا يمارى فى ذلك أحد إطلاقاً ، أما أن تاركها فاسق ، فهذا الحكم هو : الفسوق عن العلم وعن السنة معا . وهذا ما حدا بى إلى كثرة البيان فى هذا الباب .

وفى كتاب « زاد المسلم » وشرحه « فتح المنعم » ، ما يؤكد هذا المعنى ، عند ذكر إعفاء اللحية وإحفاء الشوارب ، وهل هو مما عمّت به البلوى ؟

إنك تستطيع ان تسمى تارك توفير اللحية « مخالفاً ، أو مقصراً ، أو مهملاً ، أو متهاوناً ، أو حتى عاصياً » . أما أن تقارن بينه وبين مرتكب الكبائر الموبقة ، فتسحب عليه حكم الفسق لعدم توفير اللحية ، فهذا هو الغلو فى الدين بغير حق ، وبغير عقل أيضاً ، وإلا فبماذا تصف القاتل ، والزانى ، والسارق ، والمرابى ، واللائط ، وقاطع الطريق ؟؟ ونحوهم من المسلمين ؟؟

راجع إن شئت مبطلات الصلاة ومفسداتها ، فى كل مذهب إسلامى ، فلن تجد من مبطلاتها ، ترك توفير اللحية ، فلماذا لا يصلى أحدهم وراء الحليق المتفقّه ، وبخاصة إذا اعترف بالتقصير ، مقراً بالسنية ؟! وحكم السنة : الأجر على العمل ، والحرم من تركه ، ولم يقل أحد بأن حكم السنة هو حكم الفرض أبداً .

إن مما حفظناه عن شيوخنا ، قولهم : « ان من السنة إيماناً ، ترك السنة أحياناً ؛ لثلاث تأخذ حكم الفرض عياناً » !! .

يا ولدى : أركان الإسلام خمسة ، ليس منها توفير اللحية ، وأركان

الإيمان ، وأركان الإحسان (كما صحح بها حديث جبريل) ليس منها توفير اللحية • وشروط صحة الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والطهارة ، ليس منها اللحية ، وكذلك مبطلات العبادات ، كلها ليس منها ترك توفير اللحية ، على جميع المذاهب ، سلفاً وخلفاً كتاباً وسنةً ، نصاً واجتهاداً • إذن فهي ليست سنة عبادة ، إنما هي سنة عادة ، وكان العرب على اختلاف أديانهم وعقائدهم ، يطلقون لحاهم ، ولا زال الأحرار والرهبان ، فى الشرائع السماوية والأرضية يطلقون لحاهم ، فهي ليست من سنن الإسلام الخاصة به ، أو التى يخالف بها سواه ، فتكون فرقا بين المسلم ، وغير المسلم أو بين التقى والشقى •

ولا يزال من يسمونهم « الفنانون ، والفلاسفة » فى عصرنا « والخنافس ، والهيبيز ، والمجاهرون بالفسق ، والملحدون ، والشيوعيون والرقاصون ، والطبالون ومثلهم » يطلقون لحاهم •

فالتغالى بتسمية تاركها فاسقاً ، قول بعيد عن الإنصاف العلمى والدينى ، وعن حب السنة ، وعن حب رسول الله ﷺ ، وعن يسر الإسلام ورفقه •

* * *

السؤال السادس

س : يظهر أن مفهوم إحياء الشوارب يختلف من جمعية لأخرى ،
ومن رجل لآخر ؛ فقد شاع في هذه الأيام استئصال الشوارب نهائياً ، مع
توفير اللحي بكثافة ؟

الجواب : هذه ظاهرة عجيبة فعلاً - فيما أعرف - فإن ألفاظ
الأحاديث التي أحفظها في هذا الباب بين « قصوا ، وأحفوا » وهما لا
يؤديان معنى الحلق أو الإبادة ، أو الاستئصال الذي نراه اليوم ، فالإحياء
يفسره النص ، والمراد به : تقصير الشارب ، فقط ، لما في ذلك من
منافع صحية وعملية ، ولذا كان مما اختاروه جميعاً : أن تظهر أطراف
الشفة تحت الشارب ، أي أن يكون هناك شارب ، ولكن لا يتدلى على
الفم ؛ لأن الشارب علامة كبرى من أهم علامات الرجولة : « والتنسيق بينه
وبين اللحية يعطى المهابة ، والرجولة ، ولهذا شرطوا ارتباط سوائف الشارب
باللحية *

يا ولدي : الإسلام : سَمَحَ هينَ لينَ (١) ، وهو في نفس الوقت
قوى صامد شامخ ، وفي الحديث : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر
كله » (٢) ويقول ﷺ « يَسْرُوا وَلَا تُعَسَّرُوا » (٣) ؟ ويقول : « لن يشاد
الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا » أنظر إلى قوله « قاربوا » بل إلى
قوله ﷺ : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما

(١) بسكون الياء فيهما ، وليس بالتشديد ، راجع في ذلك مختار الصحاح ،
وذلك معناه أن فيه القوة ولكنه يستعمل اللين والرفق ، وأما بالتشديد فمعناه :
الضعيف ، أو باللفظ البلدي (الخرع) .

(٢) وورد أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما
لا يعطى على العنف » رواه البخاري في الأدب وأبو داود .
(٣) رواه الإمام أحمد ، والنسائي ورواه البخاري ومسلم .

استطعتم»^(١) ، فقد أذن لنا فيما أمر : أن نأتى منه ما استطعنا . وليس بعد هذا تيسير أو رفق ، وسماحة .

وفى حديث ابن عمر : كنا إذا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة ، قال : « فيما استطعتم . . . »^(٢) والله يقول : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾^(٣) .

فأين هذا مما نرى الآن ، وما نجد من عدوانية بغيضة باسم السنة ، ومن ضغينة على الناس ، وغرور ، وحقد ، وغل أسود ، وأحمر ، وأزرق باسمها ، على حين يقول الله على لسان المؤمنين ﴿ ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾^(٤) .

سماحة الإسلام ، هي العلاج ، ولكن : كيف تكون علاجا ، وقد جعلوا منها كآبة ، وتجهما ، وغما ، وأغلا وسعيرا ، وسجنا كبيرا ، بما يلوون من عنقها ، وما يُعَسِّرون من سيرها ، وما يُفسدون من أحكام الفروض والنوافل والسنن ، وما ينقلون من أحكام الأصول إلى الفروع ، كأن من شرط إعفاء اللحية : بغض جميع الناس .

ولقد قرأتُ في الأعداد الأخيرة من مجلة (الدعوة) كلمةً لأخينا في الله الشيخ محمد الغزالي السقا تهكما عنيفا على من يظنون أن حقيقة الدين في شعرات تعقى ، وشعرات تُحَقَّى ، واستشهد بقول المتنبي فيما هجا به كافور ومن حوله :

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم ! ؟

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم !!

وقد رأينا بأعيننا المرحوم الأستاذ الشيخ محمود خطاب السبكي

(١) ومن ألفاظه : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم » رواه مسلم .

(٢) وفى الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهاوا » .

(٣) سورة التغابن الآية : ١٦ . (٤) سورة الحشر الآية : ١٠ .

(مؤسس الجمعية الشرعية) ، ورأينا المرحوم الشيخ حامد الفقى (مؤسس أنصار السنة) ، ورأينا المرحوم الشيخ رشيد رضا ، ورأينا المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ورأينا المرحوم الشيخ مصطفى صبرى (آخر مشايخ الإسلام فى تركيا لعهد الخلافة) ، ورأينا غير واحد من شيوخ الأزهر المرموقين ، كالمرحوم الشيخ الخضر حسين؛ والمراعى ، وعشرات لا تحصى من كبار العلماء وأهل الفضل ، ورأينا صور من لم ندرك من الأشياخ كالمرحوم الشيخ سليم البشرى ، ومن قبله الشيخ محمد عبده ، فلم نلاحظ أن واحداً منهم استأصل شاربه وأباده نهائياً بهذه الطريقة الحديثة ، التى نقول : إن الجمهور يسميها (مسخا) للسنة والفطرة .

بل يظهر أيضاً أن التجديد وصل إلى تصفيف اللحية ، فرأينا منها الآن الشكل (العمانى) والشكل (الإيرانى) والشكل (الهندى) والشكل (البترولى) والشكل (الصينى ، والروسى ، والأوربى) مما خرج بالموضوع عن المعنى الدينى نهائياً .

* * *

عودة إلى ظاهرة إبادة الشوارب وردٌ بالغ الأهمية

انتشرت هذه الظاهرة انتشارا ملفتا للنظر ، فترى الشاب أو الرجل يفتح الله عليه ، ويوفقه فيوفر لحيته ويعفيها ، ثم يذهب فيستأصل شاربه ويبيده ، فيبدو للناس خلَقًا آخر ، إن لم يكن كريهاً ، فهو على الأقل : لافِت للنظر .

وكنت أشرتُ إلى هذا في بعض إجاباتي على أسئلة بعض الصحفيين ، وقررت أن الإبادة والاستئصال بهذه الطريقة نوع من (المسخ) الذى لا يتلاءم مع تقاليد الإسلام وجماله (ودعوته إلى التوسط والتجمل والتنسيق) فجاءنى كتاب من ولدى السيد : الدكتور « عز الدين طه الدالى » يطلب مزيداً من التدليل أو الرجوع عن هذا الرأى .

فأقول : إننى لا أزال عند رأى ، وقد قال مالك والشافعى : (إحفاء الشارب مثلاً) وعندهما أن المراد بالإحفاء أو الإنهاك فى الحديث ، هو أن يؤخذ من الشارب ، حتى يبدو طرف الشفة فلا يغطيها الشعر ، وهذا هو القص ، أى الأمر الوسط المفسر لواقع الحكم وحكمة التشريع .

والإسلام دين الوسطية بين الإفراط والتفريط .

وقال أشهب : سألتُ مالكاَ عمن يُحفى شاربه - يعنى يستأصله - فقال : « أرى أن يوجع ضرباً » ، أى أن مالكا يرى هذا الفعل معصية تستوجب التعزير ، فوق أنها عندنا شناعة ، ومسوخ ، وتشويه ، وقبح لافِت للنظر . « فصاحبه يبدو لا هو شيخ ولا هو صبى » .

وجاء عنه رضي الله عنه أنه قال لمن يحلق شاربه : « هذه بدعة ظهرت فى الناس » ، أى لمخالفتها للفطرة التى ميزت ظواهر الفرق بين الرجولة والأنوثة ، دون تشويه ، ولا مثلة ، ولا شناعة ، ولا مسخ ، ولا لفت نظر ، والله تعالى سوى الإنسان وعدله وخلقه فى أحسن تقويم .

وأخرج أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، - وصححه - قال صلى الله عليه وسلم :

« من لم يأخذ من شاربه ، فليس منا » فهو صريح فى أن المراد بالقصر والإحفاء ، والإنهاك ، مجرد الأخذ من الشارب ، أى تخفيف كثافة شعره ، وهو الكم المشترك بين جميع الأحاديث الواردة فى هذا الباب ، وهو المناسب للذوق والانسجام .

ويظهر أنها عادةٌ انفراد بها بعض أهل مصر من قديم وقد لامهم المتنبى فى ميميته المشهورة التى وجهها إلى « كافر الاخشيد » يقول :
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم
ولذلك قال محدث الصعيد الإمام ابن دقيق العيد : « لا أعلم أحداً قال بقص الشارب من حيث هو » أى إبادته واستئصاله ، فيكون أشبه شىء بالمسخ والمثلة !

والسادة الإمامية يمنعون ذلك منعاً باتاً .

وقد روى عامر بن الزبير ، أن أمير المؤمنين عمر ، كان إذا غضب قتل شاربه ونفخ ، يعنى قتل (السبالين) وهما طرفا الشارب ، ولا يتأتى ذلك مع استئصال الشارب وإبادته واستهلاكه ، ومسخ صورة صاحبه ، وليس أحدٌ أعرفُ بالسنة من الخلفاء الراشدين ، فظهر أن استهلاك الشارب وإبادته مع إعفاء اللحية ، إنما هو نوع من التبذع والغلو فى الدين بغير حق ولا برهان صحيح .

غفر الله لنا جميعاً ، وهدانا إلى ما يحب ويرضى ، وهو الموفق والمستعان .

السؤال السابع

(س) ألا ترى أن في ترك أو إهمال توفير اللحى تعطيلاً لبعض

السنن؟!

الجواب : نعم ، ولا أقول أبداً بالترك ، ولكنها ليست من السنن
الأصول - كما أسلفت - أعنى السنن التي ترتبط بالعقيدة أو العبادة ،
فكم من سنن أخرى معطّلة ، لا يجروء على العمل بها أحد من هؤلاء ،
فمثلاً كان لرسول الله ﷺ (قدح) يضعه تحت سريره ليتبول فيه ،
وفي بعض كتب الشمايل : كانت له غداثر ﷺ (يعنى ضفائر) !

وكان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه ، أو ألعقها غيره .

وكان ﷺ يكتحل بالإثم ، ويحث عليه .

وكان يضطجع في الفجر بين السنة والفريضة .

وكان ، وكان - كما هو ثابت في كتب الشمايل والخصائص -

وهي سنن معطّلة لا يعمل بها منهم أحد .

والملاحظ أن إخواننا هؤلاء ، ما شاءوا فعلوا ، وما شاءوا تركوا .

فما اختاروا فعله : جعلوه من سنن العبادة ، وإن لم يكن منها .

وما اختاروا تركه ، جعلوه من سنن العادة ، وإن لم يكن منها ،

حتى اختلط الأمر على العامة ، فلا يميزون بين ما هو دين ، وما هو دنيا ،

وما هو من سنن العادة ، أو سنن العبادة .

ومثل هذا بالضبط : ما يجرى في أمور البدع ؛ فما شاءوا منها :

حرّموا ، وما شاءوا منها أحلّوا ، وليس لهم في هذا قانون مطّرد ، إنما

هو حب المخالفة ، والتنافس في الغلو والتطرف ، والتفاني في إكراه

الناس على الاقتداء بهم في محاولات الشذوذ والتفرد باسم السنة .

فإذا ضربت مثلاً في البدع بجمع القرآن ، ثم بإدراجه بين دفتين ، ثم

بنقط حروفه ، ثم بتشكيل كلماته ، ثم بترقيمه ، ثم ببيان مدنيه ومكيه ، مع

أسماء سورته ، ثم بتقسيمه إلى أجزاء وأحزاب وأرباع ، ثم بالإشارة

إلى أنواع وقوفه ، وإلى مكان سجود التلاوة منه ، إلى آخر هذه (المبتدعات) الإيجابية الأصلية في صميم كتاب الله ، وهو أصل الإسلام ودستوره الخالد ، ثم إذا ذكرت : كيف تخرج أبو بكر من مجرد جمع القرآن ، وعده بدعة ، ثم أجازته بعد إلحاح عمر رضي الله عنه .

لو عرضتَ هذا التاريخ في مواطن الكلام على البدع : لذهبوا بك المذاهب ، وربما عدّوه من « المصالح المرسلّة » ، ومن ذا الذي « ابتدع » لفظ المصالح المرسلّة ؟ ومن ذا الذي وضع قوانينها ؟ إنهم الناس ، فكيف يدافع عن البدعة بالبدعة !؟

وهذا هو « الميكروفون » أدخل على الصلوات كلها ، وعلى خطب الجمعة ، ودروس الوعظ ، وتلاوة القرآن الخ ، فكيف جاز هذا ، وهو بدعة ؟

فالامر عميق فسيح متشعب ! نسأل الله السلامة ، ولا علاج إلا بسماحة الإسلام ويسره ورفقه والتزّه من وباء دعوى احتكار الصواب ، وقذف جمهور المسلمين المخلصين بالجهل والخروج من دين الله .

* * *

السؤال الثامن

(س) لى سؤال فقهي أخير ، وهو : أننى أرى فى مسجدكم هذا محراباً ، ويقولون : إن المحارب محرمة فى الإسلام ، فما رأيكم ؟
الجواب : قبل الرد على هذا السؤال أحب أن أصحح خطأ شائعاً ،
ابنى عليه خطأ آخر ؛ فالخطأ لا ينتج إلا خطأ ، وأخيراً لا يصح إلا
الصحيح .

فليس ما ترى فى مسجدنا ، ولا فى مساجد المسلمين كلها ما هو
« المحراب » على صورته عند أهل الكتاب ، إن ما ترى إنما هو علامة
اتجاه القبلة ، وهو ما تنطبق عليه قوانين « المصالح المرسله » إن لم نقل إن
لها أصلاً من عمل رسول الله ، بما كان يدل به على القبلة من العصا
يغرسها أو الجذع الذى كان يخطب عليه . الخ .

فليس هو محراباً أبداً ، ويجب أن نسمى الأشياء بأسمائها ، حتى لا
نضل الصواب والثواب .

هذا أولاً ، أما ثانياً : فلن أتعرض لمذى صحة أحاديث النهى عن
المحارب ، أفرد لها السيوطى جزءاً ، ورد عليه علماء من آخرهم الشيخ
الصدىق الغمارى رداً علمياً محكماً .

لكننى سأفترض صحة الحديث (جدلاً) ، وأعود بك إلى نصوص
القرآن المجيد لنرى ، إن كان ما تراه فى مساجدنا محراباً فعلياً ، ينطبق
عليه النهى - على فرض صحة الأحاديث وعدم تأويلها - بعيداً عن
خلاف الفقهاء فيه .

المحراب فى القرآن ، وعند أهل الكتاب ، شىء يدخل الناس فيه ،
فيؤويهم ويرد العيون عنهم ، وفيه يتعبدون ، وهو يتسع لأكثر من
شخص ، مع حاجياته ، وهو يستر من فيه عن أعين الناس ، وهو شىء
يخرج الإنسان من داخله ليتحدث إلى الناس فى خارجه ، وهو شىء
مسور مرتفع الخ ، كما ستوضحه النصوص القرآنية المحكمة فيما يأتى :

فالله تعالى يقول عن مريم : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾^(١) فالمحراب هنا شيء يدخل الناس فيه ، ليصلّوا ، أو يتصلّوا بمن فيه وما فيه .

والله تعالى يقول عن زكريا ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم ﴾^(٢) « فالمحراب هنا شيء يخرج من في داخله إلى من هم في خارجه ليتحدّث اليهم » .

ويقول الله تعالى ﴿ وهل أتاك نبا الخضم اذ تسوروا المحراب ﴾^(٣) فهو شيء مرتفع الجدران « يقفز » الناس من فوق سوره ليصلوا إلى داخله ، ومن هنا كان فزع داوود ، عندما لم يدخلوا عليه المحراب من بابه ، كما في سورة « ص » .

ويقول الله تعالى عن زكريا أيضا : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ﴾^(٤) فهو شيء يقوم القائم في داخله للصلاة والتعبد .

فهذه الصورة القرآنية المفصّلة للمحراب ، تتحقق بأى شكل في « القبلة » التي اتخذها المسلمون للدلالة على اتجاه الكعبة الشريفة ، مما يستفيد منه الخاص والعام ؟ فهو من المصالح الضرورية التي لا ترفضها قواعد الإسلام العامة ، وحسبك هذا في الرد على هذه « الجزئية » التي جعلوها « كلمة » وأطلقوا الاسم على غير مسمّاه ، ولا ضرر فيها ولا ضرار .

على أن بعض الأئمة - كابن الهمام - يرى أنه كان لمسجد الرسول ﷺ في عهد الرسول ﷺ محراب : أخذاً من حديث (وائل بن حجر - بضم الحاء وسكون الجيم - عند البيهقي ، وفيه : « فدخل المحراب » قالوا : وهو أحق بالتعويل من حديث عبد المهيم بن عباس ، الذي ينفي وجود المحراب في مسجد الرسول ﷺ ، مع أنه هو نفسه روى - عند الطبراني - من حديث سهل بن سعد رضيه ، وفيه « فلما

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٧ .

(٢) سورة مريم (عليها السلام) الآية : ١١ . (٣) سورة ص ، الآية : ٢١٠ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٢٩ .

بنى له محراب : تقدّم إليه « فلعله أراد بحديث النفي ، كونها على خصوص صورة محارِب أهل الكتاب .

وبيان هذا البحث يُرجع فيه إلى تعليق الشيخ الغمّارى على رسالة السيوطى ، وإلى كتاب الشيخ عمر بن عبد الوهاب الجندى ، وإلى كلمة الشيخ الكوثرى، فهى نصٌّ فى هذا الموضوع وإن كان ما قلته فيه الكفاية .

أما أنها نوع من التشييد والزخرفة ، فقد جدّد عثمان رضي الله عنه مسجد رسول الله وبناه « بالحجر الملون » وسقفه « بخشب الساج » ، وجاء عمر بن عبد العزيز - على علمه وتقواه وورعه - فزاد فى المسجد وجدده وزينه بالرخام والفسيفساء (عام ٨٧ هـ) والتابعون موجودون ، بل وبعض الصحابة ، مما جعل لهذا الموضوع مفهوماً إسلامياً عملياً ، لا يختلف عليه عاقل ؛ فالممنوع من الزخرفة هو : ما يشغل الإنسان ، ويلهيه عن صلواته ، وهذا يختلف باختلاف الأعصار والأمصار، وحضارة المجتمع .

فهل رأيتَ كيف أنّ أكثر ما يُشار من هذه الجوانب ، زوبعة فى فنجان ، بل فى « كستبان » ، وأنه نفخ فى الرماد ، لا يعقب إلا التشويه . . . والعمى ، والتهيه ، والضياع .

وإخواننا هؤلاء ، يظنون أنهم وحدهم أهل العلم ، وأهل الجنة ، وأن الله أعطاهم حق التصرف فيها ، والوصاية عليها من دون البشر ، ومن لم يكن منهم من المسلمين : فالنار مأواه ، مع المجوس والصابئة . ولا قوة إلا بالله .

* * *

عليه السلام ، والقرآن ينزل فيهم ، وهم (المنافقون) ، فهل معنى هذا أن جميع الصحابة كانوا منحرفين ، لوجود المنحرفين فيهم ؟ .
إن المنحرفين موجودون (وسيظلون) في كل طائفة إلى يوم القيامة ، وهذه طبيعة التجمعات البشرية ، ومنها تجمعات المتمسقة :
من سبق ، ومن لاحق .

* * *

السؤال العاشر

س : هل زيارة القبور وثنية صوفية !؟

الجواب : كيف وقد أمرنا بزيارتها ، وزارها رسول الله ﷺ والصحابة والأمة كلها من بعده ، وأجاز ﷺ للنساء زيارة القبور بشروطها ، بل وقد جاء القرآن بزيارة قبور الصالحين ؛ فإن الله عندما أنزل قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أَى مِنَ الْمَنَافِقِينَ - مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (١) كان معنى هذا أن يقوم الرسول على قبور الصالحين ، وقد فعل حتى مع المرأة التي كانت تقم المسجد .
والممنوع شد الرحال إلى المساجد ، لا إلى القبور ، وفرق كبير بين المساجد والقبور ، فتأمل بعمق . على أنه مما ثبت عن عمر « رضي الله عنه » أنه قال : « لو أن مسجد قباء في طرف الدنيا لشددنا إليه الرحال » ، مما يؤكد أن حديث شد الرحال : ليس على إطلاقه .
وراجع ما كتبناه مفصلاً في شرح هذا الحديث الهام ، ففيه الجديد المفيد .

* * *

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

السؤال الحادى عشر

س : هل رسالة « المجموعة المباركة » ، طافحة بالأحاديث الكاذبة ؟

الجواب : نعم ، وهى من وضع أعداء الإسلام عموماً ، وأعداء التصوف خصوصاً ، لأغراض فى غاية العمق والسواد ، ثم ان الاسم الرمزى الخرافى ، الذى جعلوه لمؤلف هذا الكتاب ، لا ذكر له فى تاريخ الإسلام ، ثم إنه لم يذكر فى هذا الكتاب ، كلمة واحدة عن التصوف ، فكيف يحاسب الصوفية عليه !؟

* * *

السؤال الثاني عشر

- س : هل اتخاذا الشيخ وساطة شركية ؟
- الجواب : هذا كذب على العلم ، وعلى الإسلام . نعم إمام الكل رسول الله ﷺ . ولكن لماذا نتخذ الإمام فى الصلاة ؟
- ولماذا نذهب إلى الخبراء فيما لا علم لنا به ؟
- ولماذا نزل جبريل بالوحي على قلب رسول الله ﷺ ، وكان الله قادراً أن يلهمه إياه إلهاما ؟
- ولماذا أمرنا الله بالقدوة ، والأسوة فى القرآن ؟
- وكيف والله يقول : ﴿ الرحمن فاسأل به خبيراً ﴾ (١) ويقول تعالى للنبي الأعظم ﷺ ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٢) ؟
- لا بد لكل علم من معلم .
- من شك فى ذلك خالف الواقع ، والحس ، والمعنى ، والمعقول ، والمنقول .
- أتعرف : القراءة والكتابة ، وعلوم الرياضة ، والطب ، والفلك من غير معلم ؟
- أتعرف أن تقرأ القرآن دون مؤقف عليم ؟
- أتعرف أن تتعلم لغة قوم دون خبير بصير ؟
- أليس فى ذهاب موسى إلى الخضر أكبر دليل ! ؟
- أليس الله يقول : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (٣)
- إذن هل هناك مهنة أو حرفة فى الدنيا تُنال من غير ممارس مجرب ، فاتخاذ الشيخ : عمل لا بد منه للسالك إلى الله ، حتى لا يتخذ إلهه هواه .



(٢) سورة الانعام ، الآية : ٩٠ .

(١) الفرقان ، الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الانبياء ، الآية ٧ .

السؤال الثالث عشر

(س) هل استحضار الشيخ عند الورد شرك ؟

الجواب : هل لو شعر الإنسان قلبياً ، بأن عليه حافظين ، كراماً كاتبين في كل لحظة ، يكون قد أشرك ؟!

وهل ما يخطر على بال العبد من صور الملائكة والجن والعرش والتماثيل ، والأشخاص وغيرها في الصلاة ومختلف العبادات يعتبر شركاً خصوصاً إذا جاء ذكرها فيما يتلوه من القرآن ؟!

الأصل : أن المرید يبدأ دخول الحضرة الإلهية ، بتصور من كان سبباً في صلته بالله ، وفاءً له ، وتبركاً به ، ثم هو يقف بعد هذا من ذهنه وتصوره بمجرد اندماجه في الذكر ، فهو نوع من الاستصحاب الروحي المؤقت ، لطرد الشيطان والخواطر الصارفة ، استعداداً للقيام بحق الله ، والاستغراق في أنواره ، وهو ليس من الشروط الأكيدة في السلوك ، ولكنه نوع من العلاج ، ووسائل التصفية والتنقية ، وطرد الشيطان ، وبخاصة للمبتدئين .

فلا شرك ، ولا خوف من شرك ، بل هو التوحيد كل التوحيد .

* * *

السؤال الرابع عشر

«س» هل الناس متساوون عند الله؟

ولماذا جعل الصوفية لرجالهم رتباً خاصة؟!

الجواب : نعم يتساوون في الحقوق والواجبات الإلهية ، ولكنهم
يختلفون في الأعمال ، ولكن : ﴿ لكل درجات مما عملوا ﴾ (١)
﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ وليس إيمان أبي بكر كإيمان قاتل
في سجن طره ﴿ هل يستوى الأعمى والبصير ؟ ﴾ و ﴿ هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (٢) ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ (٣) ﴿ وما
منّا إلا له مقام معلوم ﴾ (٤) ﴿ لهم درجات عند الله ﴾ (٥) ﴿ ورفع بعضهم
فوق بعض درجات ﴾ (٦) ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ؟! ﴾ (٧) .

ومن هنا كانت « الولاية » مراتب : طبعاً وشرعاً : « وما زاد
الصوفية إلا أنهم وضعوا لهذه المراتب أسماءً للتعريف والتمييز » ، وأنت
حر في أن تأخذ أو تدع ، ولكل طائفة اصطلاح ، وهذا اصطلاحهم
الخاص ، لا يُجبرون أحداً عليه .

* * *

-
- (١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٢ .
 - (٢) سورة الزمر ، الآية : ٩ .
 - (٣) سورة الحديد ، الآية : ١٠ .
 - (٤) الصافات ، الآية : ١٦٤ .
 - (٥) آل عمران : ١٦٣ .
 - (٦) الأنعام الآية : ١٦٥ .
 - (٧) سورة ص ، الآية : ٢٨ .

السؤال الخامس عشر

«س» كيف تجول الأرواح في السماء ، وجبريل كان يستفتح ومعه النبي ﷺ؟! وما هو معنى الكشف الروحي؟

الجواب : كان استفتاح جبريل من أجل أن معه الرسول ﷺ الذي عرج بجسده وروحه ، والجسدُ شيء غريبٌ على السماء ؛ فلا بد من الاستئذان له ، وإلا فالروح سماوية الأصل ، ووطنها الأول والأخير : السماء ، وبرزخ الأرواح الذي ذكره القرآن جزء من السماء^(١) .

وللروح إدراكات كبرى إذا خلصت من شوائب الظلمانية والجسدية الطينية ، وذلك ما يسمونه : الكشف والشهود ، وفي الحديث « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله »^(٢) ونورُ الله لا يُحدّ ، وفي القرآن ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾^(٣) وفيه ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾^(٤) وفيه ﴿ ففهمناها سليمان ﴾^(٥) فتدبّر وتعمّق فيما وراء الألفاظ .

غير أنه من المفيد أن تعرف أن الصوفية يريدون بالكشف : « خصوص المحسوسات » ، ويريدون بالشهود : « خصوص المساتير والغيبات » ، ولكل مقام رجال .

* * *

(١) راجع كتاب « الروح » لابن القيم .

(٢) لأن المؤمن إذا صفت مرآة قلبه كشف ما وراء الحجب .

(٣) سورة الانفال ، الآية : ٢٩ .

(٤) سورة التغابن ، الآية : ١١ .

(٥) سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ٧٩ .

السؤال السادس عشر

(س) هل احترام المرید لشيخه وثنية ؟

الجواب : كيف هذا ، والنبي ﷺ يقول : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه »^(١) وأدب الصحابة مع النبي ﷺ هو أدب المریدين مع الأشياخ ، وقد أمر الله الأنبياء بتعظيم الآباء ، وأمر المأموم أن يتأخر عن الإمام ، فهل هذه وثنية ؟ وكانوا يقبلون يد الرسول ﷺ ، ورجله (تأمل) كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وكانوا يحملون عنه حذاءه ورداءه ، ولا يتقدمون عليه ، ولا يقدمون بين يديه ، ويتبركون بأثاره (راجع الشمائل والخصائص) وآداب الصحابة ، وليس في ذلك خصوصية ؛ فالأدب علم ، والتصوف أدب مع الله ومع الناس .

وهل جاء نص بعدم احترام الأشياخ أو الأولياء ؟

وهل كان سجود إخوة يوسف ليوسف عبادة ؟ أم كان احتراماً جاز في شريعتهم ؟

فاحترام التابع للمتبوع ، والصغير للكبير : أصل إسلامي توحيدى لا خلاف عليه ، وإلا كان نفس الأدب ، وحسن الأخلاق شركاً - ألم تقرأ كيف كان أدب موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام ، وكيف كان فتى موسى (يوشع) يحمل عن موسى متاعه ، وكيف أمرنا الإسلام باتخاذ « الأمير » وطاعته ، مهما قل العدد .

صحَّ أن اثنين من كبار الصحابة خرجا معاً إلى مكان ما ، فقال أحدهما للآخر : « إما أن تكون أميرى ، أو أكون أميرك » .

(١) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر ، وأبو يعلى عن أنس والعسكري عن عبادة بن الصامت ، وهو حديث مرفوع .
وللحديث الفاظ أخرى ورواة آخرون .

{ راجع كشف الخفا }

قال : بل كن أميرى

قال : فاحمل عنى بردتى ومتاعى .
شيئا من التفكير يرحمك الله ، لكن إذا انحرف الاحترام إلى
التقديس : فشىء مرفوض : قولاً وحداً !! .

* * *

السؤال السابع عشر

س : لماذا لا يكون للمريد إلا شيخ واحد ؟

الجواب : هم لا يمنعون أن يتردد المريد على أى إنسان للتزود بالثقافة والعلم ، ولكنهم يمنعون أن يجمع المريد بين عدة وسائل للسلوك ؛ فإنه لا يجوز للمأموم أن يأتى إلا بواحد فى الفرض الواحد ، ولا يجوز للمريض أن يتناول أدوية عدد من الأطباء فى وقت واحد ، والتربية شىء غير العلم ؛ فالعلم : مطالب تأتلف ، والسلوك مشارب تختلف ، فهو أبوة روحياً ، ولا يمكن أن يكون للإنسان إلا أب واحد ، وحب الأب لا يمنع حب الأعمام والأخوال وتوقيرهم .

فإذا توفى الشيخ قبل نضوج المريد ، جاز للمريد أن يتخذ من يتم به رحلته ، وإذا ثبت أن الشيخ جاهل ، أو منحرف ، تعين أن يبحث المريد عن سواه . فإذا تم للمريد مقامه ، جاز أن يتلقى للتبرك عن عدد من الأسيخ ، دون أن يدع طريقه الأصيل الذى كان سبب الفتح بحال من الأحوال ؛ كشأن كبار الرجال ، سلفاً وخلفاً ، وكما هو مسجل فى « أثباتهم » وإجازاتهم .

* * *

السؤال الثامن عشر

(س) ما الفرق بين الاعتراض على الشيخ ، والاستفسار ، أو الاستفتاء ؟

الجواب : اعتراض المرید على الشيخ : علامةُ نقص الثقة ، وفقدان المحبة ، إذا كان الشيخ مستكملاً لشروط الداعية المرئی .
وهناك فرق بين أن يستفسر المرید ، وأن يستفهم - والاستفهام حقُّه الطبيعي المتعين - وبين أن يتعالم ويعترض وينكر بلا هدى ولا خلق ، وهذا ما لا يستقيم مع أدب التربية والسلوك والتلقی وحقوق الأبوة الرؤحية .

المعتراض : منكر ، والمنكر مُتَحَدٌّ ، فلا ثقة له في شيخه . وبهذا فسدت تبعيته ، كما تفسد مأمومية المأموم إذا فقد الثقة في طهارة إمامه ، والعكس غير صحيح .

وكان الصحابة رضی الله تعالى عنهم يستفتون الرسول ﷺ ويستفهمون .

والمرید إما على قدم أبي بكر ، مع الرسول ﷺ - وهو قدم إسماعيل مع أبيه - أي : ثقة ، وتصديق ، وتسليم مطلق ، وإما على قدم عمر ؛ إيمان وثقة وحب للمعرفة بالسؤال المهدب ، وكلاهما على خير .

أما الصنف الثالث ، فلا خير فيه ، ولا أثر لسيره وسلوكه ، بل هو سير وسلوك عكسي هابط .

ولدينا مثل عملي ساقه القرآن في صحبة موسى للعبد الصالح

عليهما سلام الله ، أى أدب فى الطلب ، تأمل قوله : ﴿ هل أتبعك على أن تُعلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا ﴾ (١) ولقد أنكر موسى أشياء ، ولكن بأدب ، ثم رجع يسترضى معلِّمه معتذرا ، وهذه أدنى مراتب الصَّحبة فى الله .

أما الاعتراض ، والتعالم والإنكار بلا تحقيق ، فمقام إبليس من رب العالمين ، ومن أقوالهم : « مَنْ سَلَبَ الثَّقَةَ فى شَيْخِهِ ، سَلَبَ المَدَدَ من ربه » .

* * *

(١) سورة الكهف ، الآية : ٦٦ .

السؤال التاسع عشر

(س) هل تأذن لى بسؤال آخر فى الفقه أيضا ؟ سمعتكم هنا تجهرون بالبسملة فى قراءة الفاتحة ، وقد رأيت بعضكم يمنعها بعنف شديد ، وبعضكم على العكس ؟؟

الجواب : الجهر أو الإسرار بالبسملة من مسائل الفروع المختلف فيها ، وعلامة العنف والشدة ! وقد نقل الإمام الشوكانى فى « نيل الأوطار » إجماع الأمة على عدم تأنيب من أثبتها ، ولا من نفاها ، فلكل منهما دليله ، وكلاهما على صواب ؟!

ويقول الإمام الحازمى فى « نصب الراية » : مَنْ فَعَلَهَا أَوْ تَرَكَهَا فَقَدْ أَتَى بِالسَّنَةِ .

قلنا : وذلك لكثرة أحاديث النفي والإثبات ، ومعنى هذا أن الرسول ﷺ : كان يجهر بها مرة ، ويسر بها مرة أخرى ، وهو اختيار الشيخ خطاب فى « الدين الخالص » واختيار كثير من السلف ، وهو ما يجب ترجيحه والأخذ به .

وعندنا أن الإثبات أحوط ، ودليله أقوى وأصح ، ويؤتى بها للخروج من الخلاف عند أهل الفقه ، كما هو مقرر فى علم الأصول ، وإليك بعض التفاصيل :

فقد روى أحمد والنسائى بسند صحيح ، عن أنس أنهم كانوا لا يجهرون بالبسملة (ومعناها أنهم كانوا يسرون بها) فقد كان أنس يصلى قريبا من رسول الله ﷺ فيسمعه يسر بها . على غير حديث عبد الله بن مغفل ، فإنه كان يصلى فى الصفوف الأخرى ، فلا يسمع ما يسمع أنس ، ولهذا نفى الإتيان بالبسملة ، وأخذ بقوله المالكية فى الفرض فقط ، وخيروا المصلى فى النافلة أن يأتى بها ، أو يدع (وهنا نظر) .

ولكن الأحناف قالوا : يُسْرُ بالبسملة فى السرية والجهرية ، وأما مذهب الشافعية والحنابلة وأبى ثور ، وأبى عبيد ، فهو الجهر بالبسملة وجوباً فى أول الفاتحة ، وهو مذهب الليث ، وإسحاق ، وابن المبارك ، وأحمد - فى إحدى روايته - لما أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند رجاله ثقات عنه عليه السلام : « الحمد لله سبع آيات (أى سورة الحمد لله) إحداهن : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الدارقطنى بسند رجاله ثقات ، عنه عليه السلام : « إذا قرأتم الحمد لله (أى سورة الحمد لله) فاقراءوا بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وفى حديث صححه الحاكم والذهبي : أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس : « هل البسملة آية من الفاتحة ؟ قال : نعم » .

وأخرج الدارقطنى أيضاً أنه عليه السلام : كان يجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وعند بعضهم أنها آية مستقلة ، يُستفتح بها فى كل سورة (عدا التوبة) .

ورأى الشافعية أن البسملة آية من كل سورة ، وهو قول ابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمر ، وابن المبارك ، الذى يقول : من ترك البسملة « أى فى تلاوة القرآن » فقد ترك مائة وثلاثة عشر آية » .

قلنا : وهى ثابتة بالتواتر ، وإثبات الصحابة لها فى المصحف أعظم دليل على أنها آية من كل سورة ، أو قبل كل سورة ، ويؤيده حديث مسلم وأبى داود ، عنه عليه السلام : « أنزلت على أنفا سورة ، فقرأ : « إنا أعطيناك الكوثر مبتدأً بسم الله الرحمن الرحيم » . وبهذا أخذ أمثال : قالون والكسائى ، وابن كثير ، وعاصم من أصحاب القراءات .

وقد نقل الفخر الرازى فى تفسيره أن على بن أبى طالب كان يجهر بالبسملة فى جميع الصلوات ، قال : (ومن اقتدى بعلى فقد اهتدى) .

وأخرج الحاكم ، وصححه الذهبي : أن النبي ﷺ كان لا يعرف ختم السورة ، وبداية الأخرى حتى تنزل (بسم الله الرحمن الرحيم) وحسبك قوله ﷺ : « كل أمر ذي بال (أهمية) لا يبدأ فيه (بـ) بسم الله الرحمن الرحيم (فهو أبتـر ، أو أقطع ، أو أجذم » . (روايات)^(١) .

وهل هناك أمر ذي بال أهم من تلاوة القرآن ، وبخاصة في الصلاة ؟

إن الكلام في هذا الجانب طويل ، وفي حاجة إلى تفصيل أكثر وتنظير ، ويكفي أن تعرف أن الإثبات والنفي كلاهما جائز ، ولكن الإثبات أكد وأقوى وأحوط وأرضى ، كما بيناه آنفاً ، فلا داعي للعنف والتأثير ، إذا تطهرنا من أضرار التعصب .

* * *

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي والرُّهاوي في الأربعين .

السؤال العشرون

س : سؤال آخر : ما رأيكم في المسح على العمامة والقلنسوة ؟!

الجواب : المسح على العمامة وحدها ، أو مع الناصية : أجازة ابن حنبل ، وأبو ثور ، والأوزاعي ، والثوري ، والقاسم بن محمد ، وغيرهم : أخذوا بحديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ مسح ناصيته مع العمامة

وفي بعض الروايات : « مسح على العمامة وحدها » ، ثم ماثلوا ذلك بالمسح على الخفين .

وخالفهم في ذلك - قائلًا بعدم الجواز - : أبو حنيفة ، والشافعي ، ومالك .

والرأى : أنه لا يُصار إلى ذلك إلا عند الضرورة ؛ فالمسح على العمامة « ومثلها القلنسوة والطربوش » رخصة لا تفيد معنى الالتزام ولا الاستمرار - فيما نرجح - وإنما هي للضرورة ، والله أعلم .

* * *

السؤال الحادى والعشرون

س : رأيتكم تختمون الصلاة سرّاً مرة ، وجهرًا مرة أخرى فى المغرب والعشاء ، فما رأيكم فى هذا ، وقد منع بعضهم الختام الجهرى ؟
الجواب : نرى أن هذا وهذا جائز ، كل فى موضعه .

أما الجهر ، فقد أخرج السبعة « وماذا تريد بعد السبعة الصحاح » عن ابن عباس « أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة ، كان على عهد النبى ﷺ » . كذلك أخرج أحمد ومسلم ، والشافعى ، وآخرون ، عن ابن الزبير رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ إذا سلّم من صلاته يقول بصوته الأعلى (لاحظ قوله صوته الأعلى) : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون » مع خلاف يسير فى ألفاظ الروايات ، كما صح فى حديث أبى داود . أنهم كانوا يعرفون الفراغ من الصلاة بما يسمعون من الذكر فى المسجد .

فهذه الأحاديث واضحة صريحة فى جواز رفع الصوت بختام الصلاة ، وأنه هو السنة .

وأما القول بالمخافتة : فهو اجتهاد واستحسان ، كما قال الشافعى فى « الام » : « أختار للإمام والمأموم أن يذكر الله بعد الانصراف من الصلاة ، ويخفيان الذكر . . الخ ، فالإسرار عنده اختيار شخصى ، ويفسره قول النووى : قال أصحابنا « إن الذكر والدعاء بعد الصلاة يُستحب أن يُسرَّ بهما » فهو مجرد استحباب واختيار : أى اجتهاد خاص ؛ لعدم ورود النص المحكم بالنهى عن رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة تحديداً ، بل الجهر هو السنة الصريحة كما رأيت ، ولم يقع لنا أن إماماً من الأربعة حكم بأن هذا حرام صريح ، أو منسوخ بنص محكم ، والنص لا يُنسخ بالاجتهاد .

أما القول بالتشويش على المصلين ونحوهم ، فإننا نرى الواضع

والمدرس يرفع صوته بالقول فى المسجد بين الصلوات ، وفى حضور
المصلين ، ولا ينكر أحد عليه أو يمنعه ، فإذا جاز هذا هنا ، فقد جاز هذا
هناك ، لوحدة الحكم والسبب .

وقد كان رسول الله ﷺ يتحدث بأمر الدين فى المسجد ، ويعلم
الناس ، ويحفظهم القرآن ، فيتلوه ويتلون بعده ، حتى يحفظوه . كما كان
يقضى فى الخصومات ، ويجهز السرايا والبعوث ، ويوصيهم ، ويستشير
أصحابه ، ويعقد ألوية الغزو ، ويعقد الزواج بالمسجد ، وكان يقابل الوفود
بقضها وقضيضها ، ويستمع لخطبائها ، ويرد عليهم : جهراً بالمسجد ،
والناس تصلى بين يديه !!

وقد كان ﷺ يستمع للشعراء فى المسجد ويجيزهم ، وكان لشاعره
حسان بن ثابت منبر فى المسجد يرقى عليه ويلقى قصائده بأعلى صوته
الخ . الخ .

أما القول بأن الرسول ﷺ كان يجهر ليعلم الناس ، ثم عدل عن
الجهر ، فقول لم يقم عليه دليل علمى حاسم .

ومع هذا فنحن نلاحظ الظروف والمناسبات ، فنجهر حين نرى فى
الجهر إحياءاً للسنة وتعليماً للناس ، وتشجيعاً لهم ، ونسِر حين نرى فى
السِرِّ خيراً لا بد منه .

ثم متابعة لمن اختار الإسرار ، فلا اعتراض على جَهْرٍ مَنْ جَهْرٍ ،
ولا على إسرار من أسرٍّ ؛ فلكل طرف منهما دليله ومناسبته .

ومن الإسلام وضعُ كُلِّ شَيْءٍ فى محله ، ونبذ التعصب المقيت ،
ودعاوى احتكار الصواب ، والوصاية على الدين ، وتأثيم أهل القبلة
وتجريمهم بلا كتاب صريح ، ولا سنة صحيحة ، ولا اجتهاد مستنير ،
والله المستعان .

نقول هذا ، ولا ندعى العصمة ، ولا احتكار الصواب ﴿ ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ونستغفر الله ونتوب إليه .

* * *

الباب الرابع في الترويع

خطاب صوفى جامع^(١)

يا ولدى :

سأنتنى عن التصوف الحق ، وها أنذا - بإذن الله - أكتب اليك شيئا مما يحضرنى من « هوامشه » وأوجّهك إلى بعض آفاق مشارفه ، لتتعرف على بعض حقائقه ، فأنقل إليك بعض ما قال رجاله ، وفى بعض ما بلغنى إليه حاله ، وما كان من فيض الحق جل جلاله . وقد يفوتنى التنسيق والتزويق ، ولكننى أسأل الله ألا يفوتنى التحقيق والتوفيق .

« اللهم إنى أعوذ بك أن أتكلف ما لا أحسن ، أو أقول ما لا أعلم ، أو أمارى فى حق أعتقده ، أو أجادل عن باطل أنتقده ، أو أتخذ العلم صناعة ، أو الدين بضاعة ، أو أطلب الدنيا بنسيان رب الدنيا ، أو أعمل للأخرة رياء وزورا » .

يا ولدى :

قالوا : التصوف العلمى : تجربةٌ تصل بك إلى التذوق والصفاء والمشاهدة والوصول إلى سر الذات ، والخلافة على الأرض ، وسيله : العلم والعبادة ، فلا يغنى عنك فيها سواك ؛ فإنه لا يمكن أن يتذوق لك منها غيرك ، كما لا يمكن أن ترى بعين رجل آخر .

فهل تستطيع أن تعرف طعم « التفاح مثلا » دون أن تمضغه بالفعل ؟ وهل يكفى ان تنظر إلى العسل ، أو أن تعرف مكوناته لتتمتع بحلاوته ، دون أن يحتويه الفم أو يعركه اللسان ؟

وهل يمكن أن يتحقق الشبع ، أو ينطفئ العطش بالتصور والخيال دون تناول الطعام والشراب ، فعلاً وواقعاً ! ؟ طبعاً : لا .

وكذلك لا يغنى فى هذه التجربة مجرد العلم . ولا تُوصَل إليها

(١) هذا الخطاب الذى ستقروه أوصيت به أحد أبنائى فى الطريق وكتبته هنا لعل

الله تبارك وتعالى ينفع به .

دروب الفلسفة ؛ فالعلم والفلسفة أعمال عقلية ، وهذه التجربة من الأعمال القلبية الوجدانية ، وشتان ما بينهما ، غير أن التعبيرات الصوفية ، إذا عولجت بالإحساس والتعمق ، والمعاناة والتذوق ، كانت قادرة على تغيير الباطن الذى به يتغير الظاهر ، فيولد الإنسان ولادةً جديدة ، كلها إشراق وحب وبركة وإنتاج « هكذا قال الشيوخ » !

أما مجرد قراءة كتب التصوف بلا معاناه ، فهذه متعة ذهنية وثقافة عقلية ، وقد تشارك فيها النفسُ الأمارة بالسوء ، فتكون طريقاً إلى الضلالة طرداً أو عكساً .

أما المنح الروحية ، والإشراقات القلبية ، فهي نتيجة الجهود والأعمال ؛ فالصوفية أربابُ أحوال ، لا أصحابُ أقوال ، ولم ينل المشاهدة من ترك المجاهدة .
يا ولدى :

إن التصوف خدمةٌ تتكيف بحاجة كل عصر ، وكل إنسان ، وكل وطن ؛ فهي تجسيد شامل لعملية الاستخلاف على الأرض ، ثم إن الهداية أيضاً : جهد ومعاناة ، والشيخ دليل فقط ؛ فمن لم يسع لم يصل ، ومن لم يلتمس المعارج ، لا يتسامى ولا يرتقى . ومن لم يتحرك لم ينتقل ، ومن اعتمد على ما عنده وحده اغتر ، فتاه وضل .
وفى ذلك أقول :

يقول : هل اتخذُ الشـ	خ محتومٌ على القاصد ؟
فقلتُ : وهل تـربى قـ	ط مولودٌ بلا والد ؟
وهل يتمُّ اليتيم كفا	ه فاستغنى عن الرافد ؟ ؟
وهل أبصرت مكفو	فاً ولا يحتاج للقائد
وهل علمٌ ، وهل فـ	نٌ بغير المرشد الراشد
وكيف يسير فى الصحـ	را غريبٌ ؟ أعزلٌ وافد ؟
وبابُ الله مفتوحٌ	ولكن من هو الرائد ؟
تأمل ما أتى « موسى »	وقصته مع العابد
تأمل بعثة « الهاد	ى » ففيها الشاهد الخالد

يا ولدي

إنَّ نَسَبَكَ إِلَى اللَّهِ : أَصْحَبُ مِنْ نَسَبِكَ إِلَى أَبِيكَ . ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ اسْتَأْذَنِ عَلَى اللَّهِ أذْنَ لَهُ ، وَمَنْ قَرَعَ بَابَهُ تَعَالَى أَدْخَلَهُ ، وَنَحْنُ إِذَا نَشِيرُ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، وَنَبِّئُ السَّبِيلَ ، وَنَدْعُ الْمُرِيدَ الصَّادِقَ لِيَصِلَ إِلَى غَايَةِ الطَّرِيقِ بِجَهْدِهِ ، فَلَيْسَ شَيْخُكَ مِنْ سَمِعَتْ مِنْهُ ، وَلَكِنْ شَيْخُكَ مِنْ أَخَذَتْ مِنْهُ ، وَمَنْ جَاهَدَ : عَدَلَ ، وَمَنْ اجْتَهَدَ : وَصَلَ .

يا ولدي :

الشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة جاءت بتعريف الحق .
فالشريعة أن تعبد ، والطريقة أن تقصده ، والحقيقة أن تشهد .
ثم إن الشريعة قيامٌ بما أمر به وبصر ، والحقيقة شهودٌ لما قضى وقدر .
وهذا رسول الله ﷺ ، والشريعة أقواله والطريقة أفعاله ، والحقيقة أحواله .

فشريعةٌ بلا حقيقة : عاطلة ، وحقيقةٌ بلا شريعة : باطلة ، ولهذا قالوا :
من تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ فَقَدْ تَعَوَّقَ ، أَوْ تَفَسَّقَ ، وَمَنْ تَحَقَّقَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ فَقَدْ تَهَرَّقَ ، أَوْ تَزْدَقَ * .

واعلم يا ولدي أن الشريعة ليست إلا الحقيقة ، والحقيقة ليست إلا الشريعة ، فهما شيءٌ واحد ، لا يتمُّ أحدُ جزأيه إلا بالآخر ، وقد جمع الحق تعالى بينهما ، فمحال أن يُفَرَّقَ إنسانٌ ما جمع الله .
ثم تأمل يا ولدي قولك « لا إله إلا الله » هذه حقيقة ، « محمد رسول الله » هذه شريعة .

فلو فرَّقَ بينهما أحدٌ هلك ، فإن من ردَّ الحقيقة : أشرك ، ومن ردَّ الشريعة : أُلْحِدَ^(١) .

ثم تأمل قوله تعالى « إياك نعبد » نجد الشريعة ، « وإياك نستعين » نجد الحقيقة ، هما شيءٌ واحد يستحيل طرح أحد جزئيه . عبادة العبد : ظاهر الأمر ، وإعانة الله : باطنه ، ولا بد لكل ظاهر من باطن . كالروح في الجسد ، والماء في العود .

(١) والمشرک ، والمُلْحِد : كافران .

الحقيقة من الشريعة ، كالثمرة من الشجرة ، والأريج من الزهرة ،
والحرارة من الجمرة ، فلا بد من هذه لتلك ، فاستحال قيام حقيقة بغير
شريعة .

يا ولدى :

انظر بعين عقلك وقلبك إلى هذا الدعاء ، الذى يناجى به أحد
العارفين من أشياخنا ربّه فيقول :

« إلهى : إذا طلبتُ منك الدنيا فقد طلبتُ غيرك^(١) ، وإذا سألتك ما
ضمنت لى ، فقد اتهمتُك^(٢) ، وإن سكنَ قلبى إلى غيرك ، فقد أشركتُ
بك^(٣) !! »

جلّت أوصافك عن الحدوث ، فكيف أكون معك ؟^(٤)

تنزهتُ ذاتك من العلل ، فكيف أكون قريباً بذاتى منك ؟ ! وتعاليتُ
عن الأغيار ، فكيف يكون قوامى بغيرك ؟ !

إنه كلام كأنه صدى من روح القدس ، وكأنما اقتبسهُ الشيخ من
ألحان الذين يحملون العرش ، ومن حوله ، ومن تساييح الأرواح المهيمة
بآفاق الملأ الأعلى ، كلام فيه رائحة مولانا رسول الله ﷺ ، وأقباس
من أضواء سدرة المنتهى ، وملامح من صدى الحقيقة والشريعة .

(١) لأن الدنيا كلها ملك لله تعالى ، فكيف يترك المالك ويطلب المملوك ؟ ! ألم
تر أن الله تعالى قال للدنيا : « من خدمنى فأخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه » .

(٢) ما ضمنه الله تعالى أشياء كثيرة ؛ منها الرزق ، وقد أقسم الله تعالى أنه حق ،
فقال : ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ؛ فو ربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما
أنكم تنطقون ﴾ الذاريات : ٢٣ . وقد سمعها عربى ، فقال : « من أغضب رب العزة
حتى أقسم ؟ » .

(٣) ومن سكن قلبه إلى غير الله فقد أشرك قال تعالى : ﴿ قل أغير الله أبغى
رباً وهو رب كل شىء ﴾ الانعام ، الآية : ١٦٤ .

(٤) لأن الحادث لا يكون معه إلا حادث مثله ، والمعية التى يقصدها الشيخ هنا
المعية القلبية .

إن التصوف - عندنا - هو « علم المعرفة » ، فهو تصحيح الإسلام ،
وتحقيق الإيمان ، وتأكيده الإحسان^(١) .

ومن هنا كان واجبا : لا يمكن تحصيله ، بمجرد القراءة ، ويبدو ذلك
واضحاً في هؤلاء الذين يدرسون التصوف علماً ، ولا يمارسونه عملاً !!
وهم يحملون أعلى الألقاب العلمية ، وكان يسميهم والدي « عربات
النقل البشرية » أو « سعاة بريد المعرفة » . إنما التصوف رفع الأستار عن
أسرار الكونيات ، لإدراك أنوار شمس الحقائق ، فلا بد - مع العلم -
من المعاناة والممارسة .

والتصوف : التقوى ، والتصوف : التزكية ، وهما مقام يجمع
الخوف والرجاء ، وينهض بالعقيدة والخلق ، وبه تتحقق إنسانية الإنسان ،
وإنه ما من آية في القرآن إلا وهي تربط الدنيا بالآخرة ، وتجعلها وسيلة
إليها « من باب التقوى وطريق التزكية » .

ألم يقل الله ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ و ﴿ قد أفلح من زكاه ﴾ . ألم
يكن من سر الرسائل « التزكية » : ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم ﴾ .

نعم : التصوف : أدب ، فالعقيدة : أدب : والعبادة ، أدب ،
والمعاملة : أدب .

ولقد كان شيخنا الوالد يكثر أن يقول : « اللهم علّمنا الأدب » و
من تعلّم الأدب : بلغ الأرب »

وهنا يصل العبد إلى رتبة « الربانية » بالعلم والدرس والممارسة :
﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ .
يا ولدي : الصوفي أكثر من فقيه ؛ فالفقيه : وقف عند الأقوال^(١) .

(١) هي مراتب الحديث المعروف الذي ذكر فيه رسول الله ﷺ : « الإحسان
أن تعبد الله كأنك تراه » ، وهو حديث معروف مشهور بين أهل العلم .

(١) قال ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى ، وهو أحد تلاميذ ابن تيمية رحمه الله
تبارك وتعالى : عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله
وأحبواؤه ﴾ الآية : ١٨ من سورة المائدة ، وقال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : =

والصوفى أكثر من عابد ؛ إذ العابد وقف عند الأعمال ، أما هو فقد جمع بينهما ، فأثمر : الأحوال •

والصوفى أكثر من زاهد ؛ إذ الزاهد فى الدنيا ، زاهد فى لا شىء •
أما الصوفى فلا يزهد إلا فيما يحجبه عن الله ، وبهذا يجعل الدنيا فى يده ، لا فى قلبه •

وهكذا يصبح التصوف : فرض عين ؛ لأنه : طَلَبُ الكمال ، وما من مخلوق إلا وفيه نقصٌ يجب استكماله ، وبالتالي كان كل علم يمكن الاستغناء عنه ، إلا التصوف ؛ لأن موضوعه : الذات ، والروح ، وعلاقة الوجود بالوجود ، وارتباط الغيب بالشهادة ، والملك بالملكوت ، وكل علم بعد هذا فهو : نافلة •

جاء شاب إلى مرشد صوفى ، فقال له : يا ولدى : ان كنت تريد الدنيا والجنة فعليك بفقيره ، وان كنت تريد رب الدنيا ورب الجنة ، فهلم إلينا •

نعم ، من وجد الله ، فما فقد شيئا « وإن فقد » •
ومن فقد الله ، فما وجد شيئا « وإن وجد » ؛ فشئون الدنيا كلها كشتون الآخرة كلها ؛ « كل من عند الله ! » •

يا ولدى :
البشر : مَدْرٌ : لا يخلو من كدر • فمن نظر إلى الخلق : هلك ، ومن نظر إلى الحق : سلك وملك •

ولكن عليك بخلوص النية من قيود المقامات ، وأغلال الأحوال ، وعبادة الآمال •

ثم إنه ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا !

= أين تجد فى القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فلم يردّ عليه • فثلا عليه الصوفى هذه الآية ، ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ ، وهذا الذى قاله : حسن « إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، فراجعه هناك لاستفيد •

يا ولدى : إذا قيل : إن التصوف من الصفاء ، فقد أصبح اسم
التصوف أعظم من أن يكون له جنس يُشتق منه ؛ لأن الشرط في
الاشتقاق التجانس ، والموجودات كلها : ضد الصفاء ، إنها كدر « إلا ما
كان لله » ولا يشتق الشيء من ضده .

ثم إن « الصوفى » هو صاحب الوصول ، « والمتصوف » صاحب
الأصول ، والمستصوف « المتصوف » صاحب الفضول ، وإذا رضى
المحجوب : كشف المحجوب .

والتصوف : فناء صفة العبد ببقاء صفة المعبود . ومن هنا كان
الصوفى هو الذى لا يملك ولا يملك ، أى لا يملك نفسه ؛ لأنه ملك
الله ، وبهذا لا يملكه غيره من مال أو جاه ، أو بشر ، ثم إن صحة الملكية
تكون للموجود ، والصوفى فى حب ربه مفقود .

والمبتدىء فى الصوفية يرى نفسه ، ولكن : يراها ناقصة ، فهى - مع
هذا - حجاب بينه وبين الله .

أما المنتهى ، فقد غصَّ بصره عن نفسه ؛ فلا يراها بالكلية ؛ لأنه يرى
قيومها الموجود الحق لا سواه ، وما لا قيومية له من نفسه فهو : عدم
مجسد .

يا ولدى : الصوفى قائم بربه على قلبه ، وقائم بقلبه على نفسه ،
وقائم بنفسه على من يليه ، وهذه القوامة هى : التحقق بالتصوف الرفيع :
﴿ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾^(١) .

والصوفى يقيم أمر الخلق فى مقامه ، ويقيم أمر الحق فى مقامه ،
فيظهر ما ينبغى أن يظهر ، ويستر ما ينبغى أن يستر ، ويقوم بواجب وقته
كأفضل ما يقوم رجل ، وبه يستقيم عائق الميزان بروح الربانية .

إن الله أمرنا بالتصوف ، فهو يقول ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾^(٢) .

والربانية عندنا هى « التصوف » ، فهى فى الآية علم ودراسة ،
ومقتضى ذلك : العمل ، والعمل الصحيح .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ .

فالتصوف هو الربانية : وهو التقوى ، وهو التزكية ، وثلاثتها شيء واحد ، لا بد لبعضه من بعض ، فلا ربانية بلا تقوى ، ولا تقوى بلا تزكية .

وتستطيع أن تُسمَّى ذلك جميعاً « البر » و ﴿ لكن البر من اتقى ﴾ فاقراً آيات من « سورة البقرة » وغيرها^(١) ، وسترى أن جماع ذلك وملاكه هو « الخلق » .

فالتصوف خُلُقٌ . « من زاد عليك في الخلق : زاد عليك في التصوف » . وبالتالي زاد عليك في الإنسانية ، فنفع وانتفع ، وأدى رسالة البشرية بروح سماوية عليه .

وهكذا تشرق لك بعض معانى قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلی خلق عظیم ﴾^(٢) فما كان من عظمة في شئون الدنيا والدين ، فإنما هي أثر للخلق العظيم .

يا ولدي : ليس للشيطان على الصوفى الصادق سبيل ؛ لأنه تحقق بالعبودية المحضة ، فدخل في قدس ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾^(٣) .

وقد عرف الشيطان هذا واعترف به ، فقال : ﴿ فبعزتک لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ﴾^(٤) وقال ﴿ لأزين لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾^(٥) ومن ثم كانت العبودية أعلى مراتب القرب : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾^(٦) و ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ﴾^(٧) . و ﴿ أوحى إلى عبده ﴾^(٨) ﴿ نعم العبد ﴾^(٩) ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾^(١٠) .

واعلم « يا ولدي » وعلم الناس : أن التصوف الحق مقيدٌ بأحكام

(١) الآية : ١٧٧ و ١٨٩ و ٩٢ آل عمران و ٢ سورة المائدة والمجادلة : ٩٠ ،

والبقرة : ٤٤ . (٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٤٣ . (٤) سورة ص : الأيتان : ٨٢ و ٨٣

(٥) سورة الحجر ، الآية : ٣٩ و ٤٠ . (٦) أول سورة الإسراء .

(٧) أول سورة الفرقان . (٨) سورة النجم ، الآية : ١٠ .

(٩) سورة ص : الآية : ٣٠ . (١٠) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩ .

الكتاب والسنة ، على أساس العزيمة ، وحذار من الصيرورة إلى الرخصة ،
إلا في حدها المحدود ؛ فالتصوف - من حيث هو - علم وعمل ، وخلق ،
وعبادة ، وجهاد ، ودعوة ، هو أصل مؤصل مما جاء به الوحي ، وحثت عليه
الشريعة كما رأيت ، فهو كما قلنا « طلب الكمال » * وكل امرئ - مهما
يكن شأنه - فيه وجه ، أو وجوه من النقص ، وبهذا يصبح التصوف واجبا
عينيا ، لا عذر لأحد معه *

« هذا هو تصوفنا » وهو علم فقه المعرفة ، ولا شأن لنا بتصوف
الآخرين « وكل امرئ بما كسب رهين » *

وهكذا يكون الصوفى ، هو « المسلم النموذجى » تمثيلا للإنسانية
الرفيعة ، واندماجاً فى موكب الحياة الزاخر بالجد وبالوجد ، والعمل
الروحي ، والعمل الحضارى الخالد

يعيش الصوفى : بدنٌ مع الخلق ، وروحٌ مع الحق ، الفرق فى لسانه ،
والجمع مع جنانه^(١) ، وهو يعلم أن العمل مع الغفلة خيرٌ من الغفلة عن
العمل !!

يا ولدى : التصوفُ دعوةٌ « الحب » الذى فقدته الناس ، ففقدوا
الحقيقة الإنسانية فى الأجساد البشرية .

والحب هو : الخصيصة المميزة للسالك الصوفى ؛ فهو يحب الله
وبالتالى : يحب خلق الله ، فهو يحبهم بحب ربهم ، وهو يحكم حبه
لهم : يسعى فى خيرهم وبرهم .

وتصور يا ولدى مجتمعاً يحكمه « الحب ، والسلام ، والتسامح ،
والتيسير ، واللين ، والتعبد ، والتعاطف ، والشرف ، والإيثار ، وتجرى
سعالى الأمور ؛ كيف يكون أفراده ؟ وكيف تمضى حضارته ؟!

إن العنف ، والقسوة ، والقهر ، والتعالى ، والخبث ، والتعالى ،
والبذاءة ، والتعالم ، والاندفاع ، وأذى الناس ، أقدار لا يعرفها التصوف *
واسمع الآن الشاعر الصوفى يحدو على شاطئ الحب قائلا :

رأى المجنون فى الصحراء كلباً فمدَّ له من الإحسان ذبلاً !

(١) الجنان : بفتح الجيم : القلب .

فلاموه على ما كان منه وقالوا : كم أنلت الكلبَ نيلاً ؟
 فقال : دعوا الملامةَ إنَّ عيني رأته ليلةً في حىَّ « ليلَى » !!
 يا ولدى : يقول السادة رضى الله عنهم : سر الحقيقة ظاهر ، وعلم
 المعرفة منصوب ، وباب الوصول مفتوح ، وما حجبكم إلا رؤية أنفسكم ،
 فعشش فيها الكبر ، وباض وأفرخ !! والكبر ميراث إبليس .
 وهم يقولون ﷺ : الطريق واضح ، والدليل لائح ، والداعى أسمع ،
 فأقنع وأمتع . وما التحير بعد ذلك إلا من غفلة النفس ، وغلبة الهوى ،
 واعتقاد الفضل على السوى .

يا ولدى : لقد كان التصوف ثورةً على الترف والاستعجاب
 والانحلال ، واللامبالاة .

فإذا دخلته المغلاة ، فتلك طبيعة الأشياء ، وهذه قصة الصحابة
 الذين أرادوا أن يصوموا بلا فطر ، وأن يعيشوا على الطعام الرمزي ، وأن
 يتركوا النساء والأولاد ، وأن يصلوا الليل والنهار : تعبدًا وانقطاعاً عن
 الحياة ، فنهاهم الرسول ﷺ وأرشدهم إلى الوسطية والاعتدال (١) :
 ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ (٢) .

كان ذلك والوحي ينزل ، والرسول ﷺ حى ، فإذا داخل التصوف
 الغلاة والمتنطعون ، واستبدلوا حكم إحياء النفس بقتل النفس ، أو اختاروا
 الخبيث على الطيب ، فليس هذا عيباً فى التصوف نفسه « فالتصوف شىء
 غير التمصوف » ولا يمكن أن يحمل الإسلامُ وزرَ المسلم الذى ينحرف .
 وهل يترك المسلم التقى إسلامه ، لأن فى المسلمين قوماً ضلوا
 السبيل ؟

التصوف دعوةٌ إلى الحرية المطلقة ، والسيادة التامة على النفس
 والشهوة ، وعلى الشيطان ، وعلى العبودية لغير الله ، وعلى كل صغار
 خلقى أو فكرى ، فهو أصل التحرر المطلق من أغلال المادة والهوى ؛ لأن
 الصوفى قد تحقق بقوله « لا إله إلا الله » .

(١) « من رغب عن سنتى فليس منى » متفق عليه .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

فالتصوف « يا ولدى » كما رأيت - فوق أنه دعوة - « الحب والنور ،
والفيض ، والبركة والمدد » هو دعوة الحرية المطلقة ، ورفض كل عبودية -
حسية أو معنوية - لغير الله ، فهو يا ولدى : رد اعتبار الإنسانية للإنسان ،
بعد ما فقد الإنسان اعتباره ، واستعبده المادة ومكاره الأخلاق ، والكيوف
المتحكمة ، والشهوات المظلمة ، والآمال المعتمة » • التصوف - يا ولدى -
هو ترميم بناء الباطن بعد أن تحطم الإنسان من داخله •

التصوف الحق : دعوة إلى القوة ، والعلم ، والتوحيد ، والعزة ،
والعدالة والمساواة ، والإحياء ، والتكافل ، والتكامل والتجديد ،
والابتكار ، والسيادة والقيادة ؛ لأن الله خلق المسلم الحق ليمارس كل هذا
وما يترتب عليه ، وما يتفرع عنه : قولاً ، وعملاً ، وحالاً ﴿ ليكون
الرسول شهيدا عليكم • وتكونوا شهداء على الناس ﴾^(١) ولكل كلمة من
كل ذلك شرح عريق عميق ، أصله الكتاب والسنة ، وفرعه الفيض والمدد •
وهكذا كان من فاتته التصوف الحق ، فقد فاته الخير الذي قد لا
يعوّض علي الإطلاق •

وأى خير يكون إذا انقطعت علاقة المرء بالسماء وما وراء هذا من
الأسرار والأنوار؟! •

إن عند الصوفية ما عند الناس ، وليس عند الناس ما عند الصوفية •
يا ولدى : قد يعترض عليك بعضهم بأقوال ، لم يفهمها ، مما جاء
عن بعض السلف ، والسلف بشر ، فإن أخطأوا فوزرهم على أنفسهم ولا
نُسال عنهم ، ولا نؤاخذ بما اجترحوا ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾^(٢) •
ولكننا نعتقد أنهم أرادوا الخير ، وكانت لهم ظروف وصراف
وملابسات ، أجبرتهم على الرمز والإشارة ، أو إلى الإلغاز والتحجية ،
وما دامت أقوالهم تقبل التأويل الإيماني ، ولو من وجه واحد من مائة
وجه آخر ، فإننا نحمله على هذا الوجه الواحد المؤمن ، بحسن الظن ،
ويحكم العلم ، وندع ما وراء ذلك لله وحده ، فليس أحد يقول أو يكتب
شيئا ، وهو يعتقد أنه يدخل به النار ، وليس من حق أحد أن يحكم على

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ • (٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ •

أحد بالخروج من الملة إلا بدليل لا شبهة فيه « على مثل ضوء الشمس » (١) .

ونحن نعتقد أن لكلام القوم مفاتيح لمستغلقات مترامية الأبعاد ، فهي خاصة الخاصة ، فما لم نفهمهم على مرادهم اليقيني ، فلندع لله أمرهم ، ولنستغفر الله لنا ولهم ، ونقول : لعلهم تأولوا ، أو اجتهدوا فأخطأوا ، هذا موقفنا : مبرءاً من الوغى (٢) والدعوى ، على طريق الحب ، والخير ، والأدب .

يا ولدي : غاية كل متحرك إلى سكون ، ونهاية كل متكونٍ ألا يكون ، فإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهاك على الهالك ؟ .

يقول أشياخنا : أصول صحبتنا سبعة :

- ١ - علو الهمة .
- ٢ - وحفظ الحرمة .
- ٣ - وحسن الخدمة .
- ٤ - ونفوذ العزيمة .
- ٥ - وتعظيم النعمة .
- ٦ - والنصح للأمة .
- ٧ - ودفع الباطل بالحكمة .

وهم يقولون : « إذا ألف القلب الإعراض عن الله ، صحبته الوقعة في أولياته » .

وقلماً رأيتُ في خصوم التصوف رقة الإسلام ، أو سعة الأفق ، أو سماحة النبوة ، أو رفق الولاية ، أو حسن الظن ، أو أدب المعاملة ؛ فإن ذلك كله إنما ينبع من معين التواضع ، الذي هو خميرة مكارم الأخلاق .

(١) قال رسول الله ﷺ : « على مثل الشمس ، فاشهد أو دَع » رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً ، ولفظه : « إذا علمت مثل الشمس فاشهد ، وإلا فدع » ورواه الديلمي بلفظ « يا ابن عباس لا تشهد إلا على امر يرضى لك كضياء الشمس » ورواه الطبراني والديلمي أيضاً عن ابن عمر .

(٢) الصوت والجلبة .

وهؤلاء قد حُرِّموا هذه النعمة ؛ فليس منهم إلا جاف الطبع ، معتم القلب ، غليظ الروح ، ثقيل الظل ، مظلم ، معتم ، كأنما هو سجان فظ ، أو صاحب « مشنقة » كنود ؛ فهو متأزم ، معقد ، حامل غل على الذين آمنوا^(١) ، يكاد الكبر يتفجر من جنبيه ، تعالياً على الناس ، وتألهاً عليهم ؛ فقد زعموا لأنفسهم العصمة وضمان الجنة ، وأقاموا من أشخاصهم أوصياء على دين الله ، كأنما الدين ما عندهم وحدهم ، إلا من رحم الله ، وقليل ما هم .

ويعلم الله أننا نأسى لهم ، ونعطف عليهم ، مما ابتلاهم الله به ، وندعو الله بظهر الغيب لهم ، ولا نزال نعتقد أن فيهم خيراً ، نرجو أن يغلب عليهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

إن الناس لا يطلبون الله والجنة بما صحَّ عند غيرهم ، وإنما يطلبون ذلك بما صحَّ عندهم ، فإن أصابوا فأجران ، وإن أخطأوا فأجر^(٢) ، وعند الله مزيد ، ولكل امرئ ما نوى .

يا ولدي : هذه لمحة « على هامش التصوف » وأرجو أن يكون لي عودة إلى مثل هذا الحديث معك ، إن كان في العمر مدد ، فهو حديث غير ممنون : ذو شئون ، وشجون !! .

وإني أقول ما قال السادة: لو أن الخطائين خرسوا ما تحدثنا إليكم .
 ويعلم الله لو كان للذنوب ريحٌ ما دنا منا أحد^(٣) إلى أحد .
 أقول قولي هذا ، وأستغفر لي ، ولكم ، وللمسلمين .

* * *

(١) أين هؤلاء من قول الله تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ الآية ١٠ من سورة الحشر .

(٢) لقول رسول الله ﷺ ذلك .

(٣) قال الشاعر رحمه الله تعالى :

أحسن الله بنا . . . أن الخطايا لا تفوحُ
 فإذا المستور منا . . . بين جنبيه فضوحُ

ابن تيمية ينصف الصوفية

يقول الشيخ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، حجة السلفية وإمامهم وفقههم ، فى كتابه « الفتاوى الكبرى » بالجزء الحادى عشر ، وبالصحيفة السابعة عشرة ما نصه :

« والصوفيون قد يكونون من أجلّ الصديقين ، بحسب زمانهم ؛ فهم من أكمل صدّيقى زمانهم ، والصدّيق فى العصر الأول أكمل منهم .
والصدّيقون درجات وأنواع » . . الخ .

ثم يقول : « ولأجل ما يقع فى كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه ، تنازع الناس فى طريقهم ؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف ، وقالوا : إنهم مبتدعون ، خارجون عن السنة ، وطائفة غالت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق ، وأكملهم بعد الأنبياء ، وكلا طرفى هذه الأمور ذميم ، والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله ، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين ، وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب ، أو لا يتوب » أه .

وهنا نقلُ (نص) رأى الشيخ ابن تيمية ، فى صحة كرامة الأولياء من أواخر كتابه الذى سمّاه : (العقيدة الواسطية) ؛ فهو يقول بالحرف الواحد :

« ومن أصول أهل السنة ، التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى على أيديهم من خوارق العادات ، فى أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات (تأمل . . .) والمأثور عن سلف الأمم فى سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ،

وسائر فرق الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة » (تأمل مرة
أخرى . . .)^(١) .

وبعد : فهذا هو عين اعتقاد الصوفية الذي لا يُعجب اليوم أتباع ابن
تيمية ، ولا عملاء « اللحي البترولية ، !! » ولا طلاب عقود العمل في
البلاد العربية .

* * *

(١) وقال في رسالته « رأس الحسين » ما نصه : « وأما ما يُذكر من وجود رائحة
طيبة ، أو خرق عادة أو نحو ذلك مما يتعلق بالقبر ، فهذا لا يدل على تعينه ، وأنه
فلان ، أو فلان ، بل غاية ما يدل عليه أنه دليل صلاح المقبور أو أنه قبر رجل
صالح ، أو نبي » . ا.هـ .

ابن القيم ينصف الصوفية

أنصف الشيخ (ابن القيم) السادة الصوفية الأبرار ، فى شرحه العظيم فى كتاب الشيخ (الهروى) رحمته الله ، فمن ذلك قوله فى (منزل الرجال) صحيفة (٢٠) من الجزء الثانى ما نصه : « وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس : إحداهما حجبت عن محاسن هذه الطائفة ، ولُطف نفوسهم ، وصدق معاملاتهم ، فأهدروها ، لأجل هذه الشطحات ، وأنكروها غاية الإنكار ، وأساءوا الظن بها مطلقا ، وهذا عدوان وإسراف ، فلو كان من أخطأ أو غلط ترك جملةً وأهدرت محاسنه ، لفسدت العلوم والصناعات والحكم ، وتعطلت معاملها .

والثانية : حُجِّبوا بما رأوه من محاسن القوم ، وصفاء قلوبهم ، وصحة عزائمهم ، وحسن معاملتهم على عيوب شطحاتهم ونقصانها ، فسحبوا عليها ذيل المحاسن ، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار ، وهؤلاء معتدون مُفْرِطون « أيضا » .

والطائفة الثالثة : وهم أهل العدل والإنصاف ، الذين أعطوا كل ذى حق حقه ، وأنزلوا كل ذى منزلة منزلته ، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح « ا . هـ .

وقال أيضا فى صحيفة (٧٦) من الجزء الثالث ، بعد كلام عن الجنيد : « فرحمة الله على أبى القاسم ؛ ما أتبعه لسنة الرسول - صلوات الله عليه ، وما أفناه ^(١) لطريقته وطريقة أصحابه » .

وقال أيضا فى صحيفة (٦٥) لدى كلامه على الوجد والتواجد ، ما نصه : « والتواجد استدعاء الوجد بنوع اختيار وتكليف .

واختلف الناس : هل يُسَلَّم لصاحبه ؟ على قولين ، والتحقيق أن صاحب التواجد : إن تكلفه لحظاً وشهوة لم يسَلَّم له ، وإن تكلفه باستجلاب حال أو مقام مع الله سلَّم لهم » .

(١) يعنى : ما أشد اقتضائه .

وقال الحافظ ابن القيم أيضا في « باب الجمع » صحيفة « ٢٧٦ »
 حين تكلم عن الذين تخطفهم لوائح « شهود الجمع » ولم يتمكن من
 البقاء ، فقال : « وهذا قد يعرض للصادق أحيانا ، فيعلم أنه غالط ،
 فيرجع إلى الأصل ، أو يحكم الحكم على الحال ، وفي مثل هذا الحال
 قال أبو يزيد : « سبحاني » وغيره قال : « ما في الجبة إلا الله »^(١) ونحو
 ذلك إهـ .



(١) نسي هؤلاء المعترضون القاعدة النحوية المعروفة : حذف ما يُعلم جازر ،
 معلوم أن الله سبحانه وتعالى ليس في الجبة فإنه سبحانه وتعالى ليس بجسم حتى
 يكون في جبة أو غيرها ، بل في الجملة محذوف تقديره « ما في الجبة إلا صنعة الله »
 والله تعالى أعلم . وقد شرح ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا الكلام شرحاً طيباً في
 كتابه : « الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم » وقد طبعته قديماً جماعة أنصار السنة
 بتحقيق حامد الفقى .

الإمام الشاطبي السلفي ينصف التصوف

رحم الله الإمام السلفي ، العلامة ، الأصولي ، الشيخ « أبا إسحاق الشاطبي » حيث قال في كتابه (الاعتصام) بالصحيفة (٢٧٤) من الجزء الأول ، ما نصه :

« وأما الكلام في دقائق التصوف فليس بدعة بإطلاق ، ولا هو مما صح الدليل فيه بإطلاق ، بل الأمر ينقسم .

ولفظ التصوف لا بد من شرحه أولاً ، حتى يقع الحكم على أمر مفهوم ؛ لأنه أمر مُجْمَل عند هؤلاء المتأخرين ، فلنرجع إلى ما قال فيه المتقدمون ، وحاصل ما يرجع فيه لفظ التصوف عندهم معنيان :

أحدهما : « التخلُّق بكل خُلُقٍ سَنِيٍّ ، والتجرُّد عن كل خُلُقٍ رَدِيٍّ » .

والآخر : أنه (الفناء عن نفسه ، والبقاء بربه) .

ومما في التحقيق بمعنى واحد ، إلا أن أحدهما يصلح التعبير به عن البداية ، والآخر يصلح به التعبير عن النهاية ، وكلاهما إنصاف ، إلا أن الأول لا يلزمه الحال ، والثاني يلزمه الحال .

وقد يعبرُ فيهما بلفظ الآخر ، وإذا ثبت هذا ، فالتصوف بالمعنى الأول لا بدعة في الكلام فيه ؛ لأنه إنما يرجع إلى تفقه ما ينبغى عليه العمل ، وتفضيل آفاته وعوارضه وأوجه تلافى الفساد الواقع فيه بالإصلاح ، وهو فقه صحيح ، وأصوله في الكتاب والسنة ظاهرة ، فلا يقال في مثله بدعة ، إلا إذا أُطلق على فروع الفقه التي لم يقل في مثلها السلف الصالح إنها بدعة ، كفروع أبواب السُّلَم ، والإجازات ، ومسائل السهو ، والرجوع عن الشهادات ، وبيوع الآجال ، وما أشبه ذلك ، وليس من شأن العلماء إطلاق البدع على الفروع المستنبطة ، التي لم تكن فيما سلف ، وإن دقت

مسائلها ، فكذلك لا يطلق على دقائق فروع الأخلاق الظاهرة والباطنة
أنها بدعة ؛ لأن الجميع يرجع إلى أصول شرعية .
وأما بالمعنى الثاني ، فهو على ضرب « . . . ثم فصلها (١) .
ورحم الله كل من أنصف نفسه وأنصف الناس .

* * *

* * *

(١) راجع بقية كلامه لتكون من المصنفين .

الإمام المحدث الذهبى يعترف بالكرامات والأحوال والمقامات الصوفية

ننقل هنا نماذج مما جاء فى كتاب « العبر » للحافظ الذهبى فهو يقول : فى ترجمة العارف بالله تعالى (أبو الرجال عبد الرحمن بن مرى ابن بحير) واسم أمه مريم ، يقول ما نصه : « . . . وكان صاحبَ حالٍ وكشف^(١) وله عظمةٌ فى النفوس ، توفى سنة أربع وتسعين وستمائة ، ثم دُفِنَ بِقَرْيَةِ (منين) بزاوئته ، ومزاره معروف ، والدعاء عند ضريحه مستجاب ، من كل عبد ملهوف !! وكان أبو الرجال من ذوى الأحوال وكان ناسكاً زاهداً عابداً ورعاً » إهـ .

وقال فى تاريخ الإسلام ما نصه : « على الفرثى : الرجل الصالح ، كبير القدر ، صاحب كرامات ورياضات وسياحة ، وله أصحابٌ ومريدون ، وله زاوية بسفح قاسيون ، ثم له حكايات تدل على ولايته » .

إلى أن قال : « توفى فى جمادى الآخرة ، سنة إحدى وعشرين وستمائة بقاسيون ، وبنوا على قبره قبة »^(٢) .

وعن الشيخ العارف بالله تعالى أبى بكر « العرودى » يقول الذهبى ما نصه : « سكن بسفح قاسيون ، وكان زاهداً وله أحوال وكرامات ، ومقامات ، وله شعر كثير ، رأيتُه فى ديوان مغربى ، وهو شعر طيب ، يقع على القلب ويحرك الساكن » .

* * *

(١) الإمام الذهبى يقر للصوفية الحال والكشف، وهو من هو : علماً بالسنة ، وينكرها المتسلفون! كما أنه يقر استجابة الدعاء عند أضرحة الصالحين، وهم ينكرونها .
(٢) هنا يعترف الإمام الذهبى أيضاً بالمقامات ، والكرامات ، والأحوال ،

ابن خلدون والتصوف الإسلامي

وابن خلدون يعدُّ التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة شأنه شأن بقية علوم الدين كعلم الأصول والمصطلح وغيره من حيث التدوين والتفصيل والتبويب والتقنين ، أما من حيث المادة فهو حقيقة إسلامية أخلاقية تعبدية ، قال ابن خلدون : « وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عن سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » .



الشيخ محمد عبده والتصوف الراشد

قال الشيخ محمد عبده في رسالة « التوحيد » عن أهل الله من الصوفية ما نصه :

« أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء (يعنى الصوفيين الصادقين) ممن لم تَدُنْ مراتبهم من مراتب الأنبياء ، ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء وعلى شرعهم ودعوتهم أمناء : فكثير منهم نال حظهم من الأنس بما يقارب تلك الحال فى النوع أو الجنس ، لهم مشاركة فى بعض أحوالهم على شىء من عالم الغيب ، ولهم مشاهد صحيحة فى عالم المثال ، لا تُنكِرُ عليهم ، لتحقق حقائقها فى الواقع ، فهم لذلك لا يستبعدون شيئاً مما يُحدِّث به عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن ذاق عرف ، ومن حُرِّمَ انحراف . ودليلُ صحته ما يتحدثون به ، ومنه ظهورُ الأثرِ الصالحِ منهم ، وسلامةُ أعمالهم مما يخالف شرائع أنبيائهم . وطهارةُ فِطْرِهِم مما ينكره العقل الصحيح ، أو يمججه الذوقُ السليم .

قلنا : ويدعمه ما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبى صلوات الله عليه قال :
« لقد كان فيمن قبلكم مُحدِّثون ، فإن يكن منكم أحدٌ فعُمِّر » .
أو كما قال .

* * *

العقّاد والتصوف الصحيح

جاء في كتاب « الفلسفة القرآنية » للأستاذ المحقق الكبير السيد عباس محمود العقّاد ، ما نصه :

- « لكن التصوف فى الحقيقة غير دخيل فى العقيدة الإسلامية ؛ لأنه كما قلنا فى كتابنا عن أثر العرب فى الحضارة الأوربية مشبوت فى آيات القرآن الكريم ، مستكن بأصوله فى عقائده الصريحة .

فالمسلم يقرأ فى كتابه « القرآن » ﴿ ففروا إلى الله ﴾ (١) . . الآية ، فيعلم ما أصبح يتعلمه تلاميذ البوذيين ، حين يؤمنون بأن ملابسة العالم تُكدرُ سعادة الروح ، وأن الفرار إلى الله هو باب النجاة .

والمسلم الذى يقرأ هذه الآيات « ونحوها » وهو مطبوع على التصوف ، والبحث عن خفايا الآثار ، ودقائق الحكمة ، يجد فيها غناءً من الأصول الصوفية ، ولا يفوته إذا اكتفى بها أن ينشئ منها مدرسة صوفية إسلامية تلتقى بالمدارس « الصوفية » الأخرى فى كثير وتنفصل عنها فى كثير ؛ لا تُساع هذا المجال « ولكنها لا تنعزل عن لباب التصوف ، بالطبع والفطرة ، كما يرى « بحق » بعض المعقبين على الصوفية الإسلامية ، التى يستمدّها المسلم من الدين » إهـ .

* * *

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠

المرحوم الدكتور محمد سعاد جلال والتصوف الحق

سُئل العالم الأصولي الفقيه ، الأستاذ المرحوم « الدكتور محمد سعاد جلال » عن رأيه في التصوف فأجاب بالآتي :

« إن رأى علماء الدين في هذه المسألة جاهز .

وهو أن التصوف الحقيقي ، الذي كان عليه سلف الأمة ، خصوصاً في أواخر القرن الأول والثاني ، قبل أن يدخل عليه المخالطات-الهندية ، والشوائب المجوسية ، والمسيحية ، التي دخلت على أفكار المسلمين مع دخول الفلسفات الأجنبية إليهم ، كال يونانية ، وغيرها » نقول : « إن هذا التصوف الحقيقي ، الذي خلا من هذه الأوضار ، كان محض العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، مع الأخذ بمزيد من الزهد في الدنيا ، والإعراض عن شهواتها ، وفضع النفس عن الخضوع للذاتها ، وتطهيرها من الرعونات البشرية ، كان هذا السلوك المثالي في العلاقة مع الله هو ما يسمى « التصوف » .

ثم ابتدعت بعد ذلك أنماط خبيثة من العقيدة والعمل ، سميت بالتصوف ، كوحدة الوجود ، التي قال بها بعضهم ، واقترن بها عمليات الطبل والزمر ، وكل ذلك باطل وبدعة وإلحاد ، وخروج عن منهج الإسلام .

وما يرى الآن من الطبل والزمر ، وخلط ذلك بالمدائح النبوية ، فهو امتداد لتلك الضلالات والجرائم ، التي ظهرت في القرن الثالث ، وتعاضمت في القرن السادس ، فهي حرام قطعاً ، ويجب العمل على إزالتها ، والله المستعان » .

* * *

الشيخ متولى الشعراوى والتصوف

تحدث فضيلة الأستاذ الجليل ، الشيخ محمد متولى الشعراوى إلى الأستاذ (على حسن على) عن مجمل رأيه فى التصوف ، ملخصاً فيما يأتى :

من هو الصوفى ؟

يقول الشيخ الشعراوى : « إن الصوفى هو الذى يتقرب إلى الله بفروض الله ، ثم يزيدها بسنة الرسول ﷺ ، من جنس ما فرض الله ، وأن يكون عنده صفاء فى استقبال أقضية العبادة ، فيكون صافياً لله ، والصفاء : هو كونك تصافى الله فيصافيك الله » .

تعدد الطرق :

« وكل إنسان وصل إلى الله بطريق من الطرق ، أو صيغة من الصيغ ، يعتقد أن الطريق الذى سلكه إلى الله هو أقصر الطرق ، ولذلك اختلف الناس ؛ لأن وسائل عبادة الله متعددة ، فإذا دخل إنسان من باب وطريق ، وأحس أنه نقله وأوصله إلى الله ، بادر إلى نقله لمن يحب » .

ويضيف الشيخ الشعراوى : « ومن هنا ، فإن معنى أن هناك طرقاً صوفية ، هو أن أناساً وصلوا إلى الصفاء من الله سبحانه وتعالى ، وجاءتهم الإشراقات والعلاقات التى تدل على ذلك فى ذواتهم ، فعلموا أن الطريق الذى سلكوا فيه إلى الله صحيح ، وكلما زادوا فى العبادة : زاد الله فى العطاء » .

من هم المریدون :

ويقول الشيخ : « كنا قد قلنا : إن السالك للطريق ، يرى أن الطريق الذى سلكه هو الأفضل بالنسبة له ، ويجب أن ينقله لأحبابه ، وعندما يجد هؤلاء فيه أشياء لم يجدوها فى سواه ، يلتفتون حوله ، وينفذون ما يقول لهم ، من عبادات تقربهم من الحق جلّ وعلا ، ثم بعد ذلك يصبحون مریدين ، ما داموا قد أصبحوا أهلاً للقرب من الله » .

يريد هو : من أراد الله ، وعمل على رضاه .

التصوف رياضة روحية :

والتصوف من هذا المنطلق رياضة روحية ؛ لأنها تلزم الإنسان بمنهج تعبدي لله ، فوق ما فرضه . . وهذه خطوة نحو الود مع الله .

والله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي : « من أتاني يمشي أتيتُه هرولةً »^(١) ولم يقل سبحانه : جئتُه أمشي ، ولو قالها لكان المشي بالنسبة له شيئاً كبيراً ، فما بالك بهرولةٍ منسوبةٍ لله .

ومن هنا يدخل الإنسان في مقام الود مع الله ، ومعنى أن يوده الله أن يصفيه الرياضة والمقامات .

وهكذا يمنُّ تعالى على هؤلاء المتصوفين ببعض العطاءات التي تثبت لهم أنهم على الطريق الصحيح ، وكلما زاد العبد في عبادته : زاده الله في وده ، ولا نستطيع أن نقول : إن هذه الزيادات تصل إلى حد ما ؛ لأن عطاء الله ليس له حدود » .

تعريف العطاءات :

وعن تعريف العطاءات يقول الشيخ : « إنها هي التي ينخرق بها ناموسٌ ما في الكون ، على قدر صفاء المؤمن تنخرق له النواميس التي تحكم الناس ، بأن يُطلعه الله على حكم بعض مجريات الأمور قبل أن تحدث ، ويعطيه صفحة من صفحات الكون لأي إنسان ، فينبئه به أو يبشره به ، ليجذبه إلى جهته ، أو أن يريد بعبد له خيراً ، فيريه شيئاً من خرق نواميس الكون غير العادية ، وأنا لي رياضة ، ولو أنها خطوات بسيطة ، وأصبح عندي مبدأ التصديق وارداً ، لأنني عندما خطوت خطوة أكثر من الآخرين ، رأيت ، وهكذا » .

(١) ومن نصوص الحديث ما رواه الإمام مسلم ، والإمام أحمد وابن ماجه :

يقول الله تعالى : من عمل حسنة فله عشر أمثالها ، وأزيد ، ومن عمل سبئة فجزاؤها مثلها ، أو أغفر ، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ، ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلتُ له مثلها مغفرة ، ومن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، ومن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولة » .

فلا الصوفى يكذب الصوفى ، ولا يعارض ، ولذلك فهم يأثفون ،
ويحب بعضهم بعضا ، ولكل منهم مقام ومكان .

وعندما يدخل الصوفى مقامات متعددة ، وجئنا بمن لم يترى ولم
يدخل فى مقامات الود ، وحدثناه بها ، فلا شك أنه يكذبها ، ولكن
تكذيبها دليل حلاوتها .

والمتصوف الحقيقى يعطيه الله أشياء لا تصدقها عقول الآخرين ،
ولذلك فعليه أن يفرح بذلك ، ولا يغضب من تكذيب الآخرين له .

التمايل فى الذكر :

وسألت جريدة « المجاهد » الصادرة عن القوات المسلحة فضيلة
الإمام الشيخ « متولى الشعراوى » عن التمايل فى الذكر ، وهو طبعا غير
الرقص الذى يعمله الجهلة ، فقال ما نصه :

« لا مانع فى التمايل أثناء الذكر ، إذا كان هذا التمايل نتيجة لغلبة
الوجد عليه ، أما إذا كان هذا التمايل مفتعلا ، فهذا لا يليق .

والذكر جائز على أى حال ﴿ إن فى خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ (١) .

ولا ريب أن فى الذكر راحة نفسية ، وهدوءا للأعصاب .

وعلى كل حال ، فالذاكرون وإن تمايلوا ، فهم خير من الذين
يتمايلون فى حانات الرقص ونحوها !

* * *

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١ .

الباب الخامس

تدرج تاريخ مشيخة

المشايخ الصوفية

بحث غير مسبوق

تدرج تاريخ مشيخة المشايخ الصوفية وظيفة « الخوانق » ونحوها في نشاط الثقافة الإسلامية والخدمات الإنسانية

(١)

عما كان يقوله إمامنا « الجنيد البغدادي » :
« إنَّ علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ؛ فمن لم يحفظ القرآن ،
ويكتب الحديث ، فليس منا » .

وإن هذا هو الدستور ، ولا يزال هو منهج الصوفية الواعية
الراشدة ، يدل له منهج مدارج السلوك العملي ، كما اختاره السادة في
الآية الشريفة : ﴿ التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ،
الراكعون ، الساجدون ، الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ،
والحافظون لحدود الله ، وبشرُّ المؤمنين ﴾^(١) فهذا هو تدرج منهج السلوك
العملي ، والدعوة الإيجابية ، الذي يستوجب الإحاطة بعلوم الكتاب
والسنة إحاطة كافية للتطبيق الشخصي ، والرسالة العامة ؛ بدايةً بالتوبة
ونهايةً بالمعرفة : هي البشارة في الآية ، وهذا هو ركن الدعوة الصوفية
الأصيل على مختلف الأساليب والتسميات .

* * *

(٢)

ومن ثمَّ فإنه بعد انتهاء أنظمة الحكم الفاطمي ، على يد صلاح
الدين بمصر ، ترى أنه استبقى وظيفة (قاضي القضاة) للإشراف على
الحركة الشرعية الفقهية في الدولة على الأساس السني ، ثم جعل وظيفة
(شيخ الشيوخ) للإشراف على الجانب الروحي والخلقي ، ومسار

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٢

الدعوة إلى الله بدلاً من وظيفة (داعي الدعوة) التي كانت في الحكم الفاطمي ، لمثل هذا الغرض ، ولكن على المذهب الشيعي . ولما كانت الدعوة إلى الله في حاجة إلى تربية علمية وفقهية وخلقية متمكنة ، خصص صلاح الدين دار (سعيد السعداء)^(١) لتكون مقراً للمشيخة الصوفية العامة ، بحيث تستوعب أنشطتها المختلفة ، وتكون أشبه بجامعة علمية داخلية متكاملة للأشياخ وأتباعهم . ثم مقراً لضيافة زوار مصر من العلماء الصوفية ، ثم دار إيواء للمسنين والمعوقين ، وقد وقف صلاح الدين على أهل هذه الدار ، بستان (الحبانة) العظيم بحيث يكفي بل يزيد دخله عن حاجة أهل الدار ، كما بنى حتماً خاصاً بهم وسمى رئيس الدار (شيخ الشيوخ) وسميت الدار باسم الخانقاه وهو لفظ فارسي معناه (المكان المحترم) فكان هذا أول العهد « بمشيخة المشايخ »^(٢) في مصر والإسلام ، وكان الصوفيون قبل هذا طوائف وفصائل ، يقيمون شعائرهم بالزوايا الخاصة والربط^(٣) والدويرات ، وبهذا اكتسب صلاح الدين شعبية كبرى ، ووضع نواة النظام الإداري بإشراف الدولة على هذا القطاع الهائل المتناثر من رجال الدعوة التي لا تخلو منها أرض ولا بيت ، في مصر بخاصة ، والعالم الإسلامي بعامة ، وليبيان جلال هذا

(١) دار سعيد السعداء لا تزال بقاياها قائمة بحي الجمالية تنسب إلى سعيد السعداء عتيق الخليفة المنتصر ، وقد سكنها بعده الملك الكامل بن صلاح الدين ، ثم الصالح بن رزيق ، وغيره من كبار الدولة ، كما كانت داراً للحكومة في بعض الأوقات . وأما قبره رحمه الله ، فهو الآن بمنطقة حوش الشراوى ، لا زال موجوداً حتى الآن . وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الطبقات - في ترجمة سيدي علي وفاء : « كان يُؤمُّه يقول : لا الخلق في اللغة : التضييق ، والخانق الطريق الضيق . ومته سميت الزاوية التي يسكنها صوفية الرسوم : الخانقاه لتضييقهم على أنفسهم بالشروط التي يلتزمون فيها في ملازمتها !

(٢) لا يوجد في أية دولة إسلامية قانون ينظم شؤون الصوفية إلا في مصر

وحدها .

(٣) الرباط : بناء عسكري على شواطئ الدولة وحدودها ، وكان أكثر القس

بالربط الصوفية لصد العدو والدفاع عن الوطن .

المنصب الصوفى ، وكرامة أهله كان يتولى مشيخة المشايخ أكابر الأكاابر
من العلماء الخواص ، والشخصيات البارزة من الأمراء والقادة والأعيان .

* * *

(٣)

فنذكر ممن تولى المشيخة بسعيد السعداء ، السادة المشايخ : صدر
الدين محمد بن حموية الشافعى الجوينى^(١) ، ثم ولده كمال الدين ، ثم
ولده معين الدين ، مع ما كان لهم من الإمارة والوزارة وقيادة الجيش ،
كما ولى هذه المشيخة قاضى القضاة ، والعالم القائد الكاتب الوزير تاج
الدين بن بنت الأعز ، ثم أخوه عبد الرحمن ، كما ولىها قاضى القضاء
الفقيه الأصولى بدر الدين بن جماعة ، وولىها العلامة علاء الدين
القونوى ، والعلامة مجد الدين الأقسرائى ، والشيخ جلال الدين جار
الله الحنفى ، والشيخ برهان الدين الأبناسى ، والشيخ شهاب الدين
الأنصارى ، والتقى القلقشندى ، والسراج العبادى ، وغيرهم .

ويروى المقرئى أن الناس كانوا يأتون من أطراف مصر وضواحيها
إلى القاهرة فى يوم الجمعة ، ليتبركوا بشهود صوفية سعيد السعداء ،
وهم فى الطريق إلى صلاة الجمعة بجامع الحاكم ، بل ذكر بعضهم أن
الناس كانوا يلقون بالورود والزهور والماء المعطر ، ويطلقون البخور الجيد
فى طريقهم لما عليهم من الوقار ، وما لهم من الهيبة ، ومزيد المحبة ،
وبركة خدمة الدعوة إلى الله تعالى .

* * *

(١) ومسجده معروف بمنطقة السيدة فاطمة النبوية بمسجد الجوينى

ثم كثرت الخانقاهات التي أصبحت جامعات داخلية عملية متكاملة كما قدّمنا ؛ فبنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سرياقوس ، ثم أنشئت بعدها خانقاه قوصون (قيسون) وتولى مشيختها الشيخ شمس الدين الأصفهاني صاحب المؤلفات الجليلة ، و خانقاه فرج بن برقوق الملحق بمسجده المعروف ، وكانت من أروع وأعظم أمثالها ، لا يزال أثرها موجوداً لليوم ، ويطلق على القرية التي كانت بها : (الخانكا) مركز شبين القناطر بالقليوبية . ولكي ندرك شيئا عن النظام العلمي الشامل ، الذي كان يدرّس بغاية الدقة والعناية بهذه الخوانق ، أو الجامعات ، أو كليات التعليم العالي ، لإعداد العالم الصوفى القدوة ، نذكر أن الأمير (شيخون) العُمري ، عندما أسس الخانقاه المشهورة للآن باسمه ، أمام مسجده بمنطقة (الصليبة) بين حى القلعة والسيدة زينب ، شرقى (سبيل أم عباس) بالقاهرة ، رتبّ فيها إجبارياً دراسة المذاهب الأربعة ، والتفسير ، والأصول مع دراسة الحديث الشريف من الصحيحين ، ودراسة القراءات السبع ، بالإضافة إلى التصوف الإسلامى .

وشرط فى شيخ الخانقاه أن يكون معروفاً بالتقوى وسعة الأفق العلمى والخلقى ، بحيث أنه هو الذى يدرّس التصوف والمذهب الحنفى معاً ، ولا يكون قاضياً حتى لا تشغله وظيفة القضاء عن رعاية الخانقاه ، فتولى المشيخة بها الشيخُ أكمل الدين البامبرتى الحنفى ، كما درّس بها فقه المالكية وأصوله الشيخ المجتهد: خليل (صاحب المختصر) الذى هو أشهر وأجمع بحث فى المذهب المالكى ، ودرّس فقه الشافعية : الشيخ العلامة بهاء الدين ابن الشيخ تقى الدين السبكي ، وفقه الحنابلة : العلامة موفق الدين الحنبلى ، كما تولى التدريس الحافظ ولاء الدين بن عبد الله الزولى ، ثم المحدث تقى الدين الواسطى ، الخ . . . وتوالى على مشيخة هذه الخانقاه أعيان العلماء كالشيخ عز الدين بن يوسف الرازى ،

والشيخ القيصري المعروف بابن العجمي ، والشيخ علاء الدين السيرامي ،
والبدر الكلستاني ، ثم الجمال بن العديم ، ثم أمين الطرابلسي ، ثم
الإمام السراج الحنفي ، الذي قرأ لطلاب خانقاه كتاب الهداية من أشهر
وأكبر مراجع المذهب الحنفي .

وبهذا ينتفى الوهم الفاضح ، الذي كان و لا يزال يسيطر على
خصوم الصوفية ، بأن الخانقاهات كانت مضاف (للتنبلة) شأن (تكايا)
الأتراك في العصر الأخير .

إن الخانقاهات كانت أول ما عرفه المسلمون من المدارس المجانية ،
التي كانت تقدم العلم من أعظم أعلامه . مع منحة الإطعام الطيب ،
والإيواء المشرف ، والمصروفات الضرورية، فليعلم هذا من لم يكن يعلم

* * *

(٥)

فكانت هذه الخوانق تُخرج العالم الصوفي الداعية الزاهد المبارك
العابد (البسيط) الذي ينشر المحبة واليسر والسماحة والتعاطف والتآلف
والبركة ، عملياً بين الناس ، وهذا هو أساس الإقبال العظيم والحب الذي
لا يزال يملأ قلوب أهل الريف والمدن ، نحو الصوفية الأمجاد ، ويجعلهم
يدينون بالطاعة لهم ، والثقة فيهم ، والشوق إليهم ؛ فهم أينما حلّوا يعم
البشر والخير والسعادة والفرح والسكينة والراحة النفسية .

وقد كان الصوفية هم الوعاظ وهم أئمة المساجد والزوايا ، في
الغالبية العظمى من مساجد الريف المصري وزواياه ، شمالاً وجنوباً .

وكانت علاقاتهم بالناس علاقة الأبوة الحانية ، والعفة الشاملة ،
والتواضع والتسامح ، والتجميع والتكتيل ، حين لم تكن قد وجدت
وزارات الأوقاف ، ولا الوعاظ والأئمة الموظفون بالأجور والمهايا .

فكان دعاة الصوفية هم مصابيح الهدى ، وحملة النور والأمل
ومكارم الأخلاق ، والفقهاء والوطنية إلى خلق الله .

ثم تطور مع الزمن نظام الخوانق إلى نظام المدارس ؛ فأنشئت
مدرسة دار الحديث الكاملية (الملك الكامل الآن بالجمالية) وكان الشيخ
أبو الحسن الشاذلي ينزل بها ، ويعقد دروسه عندما يزور القاهرة ، قادماً
من اسكندرية ، وكان شيخها هو العالم الصوفى المحدث الشيخ محمد
بن سراقه الشاطبي ، كما تولى مشيختها العالم المحدث الصوفى الشيخ
قطب الدين القسطلاني .

ثم المدرسة الصالحية (مسجد الصالح أيوب بالجمالية) وكان
شيخها وزير الملك الكامل الشيخ تاج الدين بن بنت الأعز ، الذي تولى
من قبل مشيخة المشايخ بخانقاه سعيد السعداء ثم (المدرسة الصالحية التي
كانت مجاورة لضريح الإمام الشافعي) .

وتولى مشيختها الصوفى العالم الزاهد الشيخ نجم الدين أبو
البركات محمد بن سعيد الخبوشاني ، مؤلف (التحقيق المحيط في شرح
الوسيط) .

ثم المدرسة الناصرية التي أسسها الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت
مجاورةً لمسجد عمرو بن العاص ، وتولى مشيختها ابن (زين التجار)
العالم الصوفى المظفر بن حسين ، كما كانت تعرف بالمدرسة « الشريفة »
أيضاً ، نسبةً إلى الشيخ الشريف الزاهد ، شيخ الشيخ ابن الرفعة ،
وابن الرفعة هو : الفقيه الأصولي الصوفى الورع ، ثالث الشيخين
الرافعي والنووي في الترجيح عند الشافعية .

ثم المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس (وهي نفس
الجامع المشهور باسم جامع (الظاهر الآن) والذي كان قد احتله الإنجليز
فترةً ، وجعلوه مجزرة لذبائحهم ، حتى اشتهر بين العامة (بمذبح

الإنجليز) وكان من فقهاه الصوفية العلامة مجد الدين بن وهب ، المحدث الصوفى المجاهد أبو الفتح محمد القوصى المشهور (بابن دقيق العبد) وهو من تلاميذ العز بن عبد السلام .

ثم مدرسة السلطان حسن ، وهى جامع السلطان حسن المعروف بالقلعة ، ويعتبر من أكبر مفاخر العمارة الإسلامية ، وقد شيد فيه أربع أجنحة كبرى ؛ كل جناح لمذهب من المذاهب الأربعة ، واختار طلبته من أفضل الصوفية ، وأساتذته من أشهرهم .

* * *

(٦)

ثم عادت بحكم الظروف أنظمة (الزوايا) وهى مساجد صغيرة . يتخذها أئمة الصوفية لنشر دعوتهم وعبادتهم ، وتقوم مقام المدارس والخوانق على أسلوب أبسط وأقل نظراً لعدم توافر القدرة المالية ، وتغير الأوضاع الاجتماعية والسياسية ، مع المحافظة بقدر الإمكان على دروس الدين والتصوف ، واستضافة الأعراب وفقراء الطلاب وإيواء المسنين والعجزة .

ومن أشهر هذه الزوايا زاوية ولى الله الشيخ الحلوجى التى كانت تقع بين ميدانى الحسين والأزهر ، وقد دفن بها أيضا الشيخ عبيد الله البلقينى الذى كان يزوره السلطان الغورى والسلطان قايتباى ، وكانت تقع بالأرض التى بها النفق الموصل ما بين الميدانين الآن ، وكانت لها أوقاف وحمّام كبير ، ثم هُدمت للتوسعة بين الميدانين ونُقل رفاتهما إلى ما يسمى (مقلب الأولياء) بشارع الركبية، وهو نوع من العقوق وإهدار الحقوق ، ولا قوة إلا بالله .

ثم زاوية الدمرداش محمد بن عثمان بالعباسية ، شرقى مستشفى الدمرداش ، الذى أسسه حفيد أحفاد السيد عبد الرحيم الدمرداش ، والد

السيدة المعروفة « قوت القلوب الدمرداشية » ، وشيخ الطريقة الدمرداشية ، وكان لهذه الزاوية ملحقٌ به عدد من الخلوات الصوفية لمن شاء الخلوة من تلاميذ الطريقة الدمرداشية ، وكان لهذه الخلوات نظام محدد ، وتقاليد متبعة ؛ لأنه كان للخلوات والمريدين والخدم رواتب وعوائد من حصيلة الأوقاف العظيمة التي كانت للزاوية .

وزاوية أبى السعود الجارحي بمصر القديمة ، والآن يجدها المستولون ، وينشئون حولها حديقة مناسبة ، وقد استغلها بعض المارقين والمنحرفين لإقامة (الزار) فى كل يوم الثلاثاء ، لإخراج الأرواح والعفاريت الشريرة من الأبدان ، على غير ما ترضى به الشريعة ، على حين كان الشيخ أبو السعود من أفضل علماء الصوفية المباركين ، وكان على علم تام بالطب ، وكان يعالج الناس بالمجان ، ولعل هذا هو سبب إقامة مهزلة (الزار) الأسبوعية فى زاويته حتى الآن ، ولم ينفع فى القضاء على هذه المهزلة جهد الحكومة ولا الأزهر ولا غيره .

ثم زاوية الخضيرى بجوار جامع ابن طولون ، وإليه ينتهى نسب الطريقة الخضيرية ، وزاوية كريم الدين الخلوتى بالجودرية ، بين الغورية وباب الخلق ، وزاوية تاج الدين الداكر شمال باب زويلة أمام مسجد طلائع بن رزيك ، وزاوية الإمام الشعرانى بميدان باب الشعرية ، وزاوية الشيخ على المرصفى بين الناصرية وجامع الأمير حسين وباب الخلق ، وقد جددت العشيرة المحمدية زاوية المرصفى بالتعاون مع المرحوم السيد محمد الغندور ، التاجر المعروف وبعض الصالحين بالمنطقة ، ثم زاوية الشيخ الشبكي ، والشيخ مدين الأشمونى ، والشيخ الغمرى بباب الشعرية ، وهكذا كثرت الزوايا بكثرة المشايخ الداعين إلى الله تعالى لتقوم مقام الخوانق والمدارس فى المدن والقرى ، ولكن بطريقة مصغرة ، وكانت أحيانا إذا ألحقت بها بعض المساكن تسمى (الدويرات) - وكانت كلها تخضع لشيخ المشايخ .



(٧)

قالوا : وكان ممن تولى مشيخة المشايخ فى أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر مولانا الشيخ الإمام العظيم جلال الدين السيوطى . وكانت قد انتشرت البدع والمناكر والمستكرهات والمحرمات فى صفوف أكثرية عوام الصوفية ، ولما أراد السيوطى أن يردّهم إلى الصواب ، انتهز الغوغاء منهم خلواً مسجد بيبرس الذى كان يصلّى به الشيخ السيوطى ويلقى درسه اليومى ، فكبّوه على وجهه وجروّه على أرض المسجد ، وهم يضربونه بالقباقيب حتى ألقوه فى فسقية الميضاة ، ثم حمّله الناس إلى داره ، قالوا : فما خرج منها بعد ذلك قط إلا إلى قبره !! رحمه الله .

قالوا : وقد تنقلت مشيخة المشايخ فى البيوت الصوفية الكبرى طيلة هذا القرن ، حتى استقرت فى بيت الشيخ شمس الدين الحنفى البكرى ، صاحب المسجد المعروف بحى السيدة زينب ، وقد أخذ الطريق عن ابن الملق الساذلى ، وأخذ علم الحديث عن حافظ مصر ومحدثها الشيخ زين الدين العراقى ، وكان الشيخ الحنفى معاصراً لرأس السادة الوفاية الشيخ على بن الشيخ محمد وفا ، والشيخ ابن حجر ، والشيخ العينى ، وغيرهم من كبار أئمة الشرع والتصوف ، وكان يزوره الملوك والسلاطين طالبين رضاه وبركته ويخدمه الأمراء والأعيان .

قالوا : حتى آلت المشيخة بالتوارث فى بيت البكرى إلى الشيخ أبى المكارم البكرى من أحفاد شمس الدين الحنفى ، ثم ورثه فيها ابنه أبو السرور البكرى ، وهكذا توارثها بيت البكرى على ضعف ، حتى كادت أن تتلاشى ، حتى قرّهم فى هذه المشيخة قائد الفتح الفرنسى نابليون ، وثبتت فيها الشيخ خليل البكرى ، وهكذا حتى آلت إلى السيد توفيق البكرى ، ثم إلى السيد عبد الحميد البكرى ، ثم إلى السيد أحمد مراد ابن السيد عبد الحميد .



(٨)

ثم كان من الشئون السياسية ما جعل الملك فؤاد يخلع السيد أحمد مراد من المشيخة ، ويلغى نظام وراثتها فى بيت البكرى ، وعين الشيخ أحمد الصاوى العمرانى ، أحد علماء الأزهر شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية ، بدلاً من أحمد مراد البكرى .

ولما توفى الشيخ الصاوى عين رجال الثورة الشيخ محمد علسوان البليسى الخلوتى شيخاً للطرق الصوفية ، حتى توفى ، فعين من بعده الشيخ محمد السطوحى ، كل هذا فى ظل اللائحة الصوفية القديمة، الصادرة فى سنة ١٩٠٣م من عمل الشيخ توفيق البكرى .

ثم توفى الشيخ السطوحى ، فعين من بعده السيد الدكتور أبو الوفا التفتازنى نائب رئيس جامعة القاهرة ، وأستاذ التصوف بها ، شيخاً للمشايخ ، وكان والده من أشهر صوفية الجيل الماضى ، وهى أول مرة يشغل فيها هذا المنصب الشرفى رجل صوفى يحمل الدكتوراه ، وكان تعيينه على أساس اللائحة الجديدة للطرق الصوفية ، الصادرة فى أوائل الثمانينات بمجهود كبير يعلمه الله !! رغم ما عليها من الملاحظات الهامة . ثم توفى إلى رحمة الله تعالى ، وتولاها من بعده الآن الوزير أحمد عبد الهادى القصبى شيخ السادة القصيبة الخلوتية .

نسأل الله تعالى أن يوفق شيخ المشايخ ، ورجال المشيخة ، والمجلس الصوفى عموماً ، إلى تصحيح الأوضاع المختلفة ، وإعادة المجد الصوفى الضائع، وأن يهيم للتصوف سبيل تحريره وتطهيره وإذاعة فضله ، حتى تنقطع السنة المفترين عليه بالباطل هناك وهنا ، وحتى يمكن له أن يؤدى رسالته الإنسانية الخالدة التى لا يُغنى عنه فيها شئ آخر .

والحمد لله رب العالمين

محمد زكى إبراهيم

شيخ السادة المحمدية ، ورائد العشيرة المحمدية ،

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،

وعضو اللجنة العليا الدينية بمحافظة العاصمة .

مشيخة عموم الطرق الصوفية

بجمهورية مصر العربية

كشفت بأسماء السادة مشايخ الطرق الصوفية ووكلاء المشايخ بجمهورية مصر العربية الذين لهم حق

الترشيح لانتخابات المجلس الأعلى للطرق الصوفية . . .

العنوان	الطريقة	الاسم
عمارة الجمعية اليونانية - شارع يوسف مكرم - طنطا . مسجد الرفاعي - قسم الخليفة - القاهرة ص . ب : ١٩٣٧ القاهرة	شيخ مشايخ الطرق الصوفية وشيخ السادة القصبية الخلوئية الرفاعية	سماحة السيد الوزير / أحمد عبد الهادي القصبي السيد / أحمد كامل بس الرفاعي
ش قصر الشوق - الجمالية القاهرة ١٦ درب راشد - قصر الشوق - القاهرة بليس - شرقية	المرازقة الاحمدية البرهانية	السيد / عصام الدين أحمد شمس الدين السيد / محمد علي عاشور
٢ شارع محمد يوسف سليم - هليوبوليس - مصر الجديدة	العلوانية الخلوئية الكتاسية الاحمدية	السيد / مالك محمد علوان السيد / محمد سلامة نوبتو
شارع ٧٧ رقم ٥٠ - المعادي ج ١١ شارع مجلس الشعب - القاهرة	السطوحية الاحمدية العرمية الشاذلية	السيد / عبد السمع محمد محمود السطوحى السيد / علاء الدين ماضى أبو العزائم

العنوان	الطريقة	الاسم
<p>شارع الحجاز من شارع جامعة الدول العربية المهندسين الجيزة 9 شارع سليم عبده- ميدان عبده باشا العباسية - القاهرة 39 شارع أبو بكر الصديق - الدقى باب النصر - شارع نجم الدين - ضريح سيدى يونس السعدى - الجمالية القاهرة 22 شارع السباق - الدراسة - القاهرة 43 شارع حوش قدم - الدرب الاحمر - القاهرة 18 شارع الصالحية - الحسين - القاهرة 5 شارع الحكماء - منشية البكرى - القاهرة 64 شارع جامعة الدول العربية - الدقى 16 درب الفراخه قصر الشوق الجمالية - القاهرة 15 ش منشية الجمل الزاوية الحمراء - القاهرة 110 شارع الحجاز - مصر الجديدة شارع أمير الجيوش حارة كف الموزرقم 6 الجمالية القاهرة</p>	<p>الحامدية الشاذلية الشهاوية البرهامية الخلوتية الضيفية السعدية السلامية الشاذلية السمانية الخلوتية العروسية الشاذلية الشيانية التغلية المرغية الختمية الشعبية الأحمدية الستيقانية الأحمدية القاوقجية الشاذلية اليومية الأحمدية</p>	<p>السيد / حلمى محمد زايد (قائم بأعمال الطريقة) السيد / عبد المجيد أبو المجد الشهاوى السيد / أحمد محمد أمين الشواربى السيد / على الذهبى السيد حموده الخضرى السيد / محمد عبد السلام طه مشينه السيد / عبد العزيز محمد ابراهيم الجمل السيد / على فكرى على منصور كريم السيد اللواء / محمد جمال الدين شرف السيد / محمد سر الختم الميرغنى السيد / محمد حسن الشعبى السيد / ابراهيم أحمد ابراهيم أحمد السيد / مصطفى أبو الفتح القاوقجى السيد / حامد أحمد فضل</p>

العنوان	الطريقة	الاسم
<p>٥ شارع اسكارية - مصر الجديدة - القاهرة</p> <p>٢ ش الجبروني - عمارة مصوع - كفر الزيات</p> <p>٥ شارع السراي - أول نيل الروضة - القاهرة</p> <p>شارع النصر - عمارات أول مايو عمارة رقم ٥ الدور التاسع</p> <p>١٠٠ شارع السودان - بحرى مدينة الاوقاف - أمام محكمة امبابه .</p> <p>الزقازيق - منطقة الزقازيق الأزهرية - مفتح علوم عربية .</p> <p>نائب عام - ٣ شارع الجهتي - الدقى</p> <p>٤ شارع النبوية - العباسية - القاهرة</p> <p>مسجد الدمرداش - العباسية - القاهرة</p> <p>١٤ شارع الخوارزمي المتفرع من شارع عثمان محمد - طنطا غربية</p>	<p>الحلية الاحمدية</p> <p>السلامية الاحمدية</p> <p>الروائية</p> <p>المدنية الشاذلية</p> <p>العقيفية الهاشمية</p> <p>الشراوية الخلوئية</p> <p>القادرية القاسمية</p> <p>العقيفية الشاذلية</p> <p>الجمهوريه الشاذلية</p> <p>الدمرداشية</p> <p>الشاذلية الاحمدية</p>	<p>السيد / أحمد ضياء الدين الجنيدى</p> <p>السيد / عمر محمد يوسف مروان</p> <p>السيد / محمد يوسف المرزوقى</p> <p>السيد / أحمد عقيفى أحمد الساكت</p> <p>السيد المهندس / محمد عبد الخالق مصطفى الشراوى</p> <p>السيد / حسين أحمد على القادري</p> <p>السيد / عمرو محمد ضياء الدين عبد الباقي العقيفى</p> <p>السيد / عبد الرحيم محمد الجوهري</p> <p>السيد الدكتور / أحمد محمد الدمرداش</p> <p>وكيل عام</p> <p>السيد / حسن محمد سعيد الشناوى</p>

العنوان	الطريقة	الاسم
<p>وراق العرب - مركز امبابه ستريس - مركز أشمون - منوفية منشية الزراعية شارع عبد العزيز - بنها الزقازيق المساكن التعاونية - شارع القومية عمارة الجامعة شقة ٥ ٢ حارة مصطفى يحيى - ناصية شارع أحمد باشا كمال - شبرا - القاهرة . البر الشرقى بجوار مستشفى . الحيات شبين الكوم - النوفية . قرية رزنة مركز الزقازيق - شرقية القطاوية مركز أبو حماد - شرقية . سيسى غازى - كفر الدوار - بحيرة . قلبن - حصه الغنيمى كفر الشيخ تقسيم المحافظ - شارع رقم ٤ من شارع عبد السلام عازف - المنصورة . مسجد المشايخ - ا شارع السلطان أحمد الدراسة . قايتباى - القاهرة .</p>	<p>الاميبية الاحمدية الزاهدية الاحمدية القرغلية الاحمدية المسلمية الخلوئية النايفة الاحمدية المصليحية الخلوئية الهرراوية الخفية الغزراوية الغازية الخلوئية السعيدية الشرنوبية البهوتية الخلوئية المحمدية الشاذلية</p>	<p>محمد على عبد السلام سلمان السيد حسن يوسف خليل الزاهد أحمد صبرى عبد الرحمن الفرغلى دكتور / حسن محمد حسن على المسلمى عبد الله على النوفى زغلول المصليحي أمين إبراهيم الهراوى عبد الرحيم محمد إبراهيم العزازى نفضال على الغازى ابراهيم محمد سعيد الشرنوبى لمواء / محمد عمر عبد التعال بهوتى محمد زكى ابراهيم</p>

العنوان	الطريقة	الاسم
<p>قنا - لوكائدة الكمال .</p> <p>خلف ٢٢ شارع النبي دانيال الاسكندرية .</p> <p>مسجد وصف مركز زفتى - غربية .</p> <p>١٠٤ شارع المحافظة - العطارين الاسكندرية .</p> <p>نزلة الجنيدى (بريد الميمون) مركز الواسطى .</p> <p>قمش - طنسا - بنى مالو .</p> <p>قسم النحال - بندر الزقازيق .</p> <p>١٣ ش الشيخ العروسى باب الشعرية القاهرة .</p> <p>١٧ شارع يعقوب بالمالية - القاهرة .</p> <p>٢١ شارع المدينة المنورة خلف نادى الصيد .</p> <p>٦ شارع المأمون مدينة الأوقاف - إنبابة .</p> <p>بلقاس - دقهلية شارع أبو الحسن</p> <p>طنطا عمارة الانشاء والتعمير - الطريق السري</p> <p>قعاقة دور ٤ شقة ٩ .</p> <p>١٨ شارع الدكتور جمال نهج - الماظة - مصر الجديدة .</p>	<p>الرحيمية القناية</p> <p>الشرنوبية البرهامية</p> <p>الحمودية الاحمدية</p> <p>الهاشمية الشاذلية</p> <p>الجنيدية الخلوتية</p> <p>الجودية الخلوتية</p> <p>الخليلية</p> <p>السجادة الوفاية</p> <p>السجادة العنانية</p> <p>القادرية القارضية</p> <p>الفاسية الشاذلية</p> <p>الجمهورية الاحمدية</p> <p>الجهادية البرهامية</p> <p>الغيمية الخلوتية</p>	<p>السيد / محمد طه محمد على عثمان</p> <p>السيد / محمد عبد المجيد الشرنوبى</p> <p>السيد / ابراهيم محمد المغربى</p> <p>السيد / عبد الفتاح إدريس - وكيل</p> <p>السيد / حسين الدسوقى الجنيدى</p> <p>السيد / جوده عبد العليم الشيخ بكرى محمد</p> <p>السيد / محمود ابراهيم أبو خليل</p> <p>السيد / ايهاب محمود حسن العروسى</p> <p>السيد / بهاء الدين على العناتى</p> <p>السيد / نسمود عبد السلام حجازى</p> <p>السيد اللواء/ سمير محمد أحمد حسن - وكيل عام</p> <p>السيد / الحسينى عبد اللطيف أبو الحسن الجومهرى</p> <p>السيد / عبد القادر أحمد مجاهد</p> <p>السيد الدكتور / محمد أبو الوفا الغيمى التفتازانى</p>

العنوان	الطريقة	الاسم
<ul style="list-style-type: none"> بنى عامر مركز الزقازيق - شرقية . عمارة الأوقاف - القيوم . الاسكندرية / تعادينات سموخة عمارة ١٢٦ شقة ٩٢ ٨ شارع العادل أبو بكر - الزمالك . القاهرة - حدائق القبة - أول شارع سكة الوابلى الكبير رقم ٤٨٤ . مسجد صالح الجعفرى بالدراسة بالجمايلة القاهرة . درب سعادة بالأزهر - عمارة العيسوى باب كوثر - القاهرة . حارة مراد غالب المتفرعة من شارع السد البرانى بالسيدة زينب القاهرة . ١٤ شارع ابن الصائغ متفرع من ش السلطان حسين - محطة الرمل اسكندرية . أم درمان - المردة - السودان . 	<ul style="list-style-type: none"> الهاشمية الخلوئية الصابرية الخلوئية الخريرية البركية الفيضية الشاذلية الجعفرية الاحمدية المحمدية الخصافية الشاذلية الجيبية التقشيدية الإدرسية الشاذلية 	<ul style="list-style-type: none"> السيد / محمد محمود أحمد هاشم السيد / أحمد السيد أحمد على الصاوى السيد الدكتور / محمد بهجت نور الحقبزيرى السيد / محمد كويلالى البكرى السيد / محمد مح و د أبو الفيض النوفى السيد / الشيخ عبد الفتى صالح الجعفرى السيد المستشار / محمد أبو الأسرار الحصافى السيد المهندس / عبد الباقي محمد عبد الباقي الحيسى السيد / جميل مخلو بخيت السيد / أحمد كامل الإدرسى

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

ورئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية

بجمهورية مصر العربية

الأمين العام
(عبد الحميد عبد اللطيف)

ملحق

بيان باقى الطرق الصوفية الخاضعة لأحكام هذا القانون غير إنها إما متوقف

نشاطها أو شاغرة من شيوخها :

القاسميه الشاذلية . السيد / سمير عبد الحميد البراملنى

الكتانية الأحمدية : السيد / حسن إبراهيم الكتانى - المغرب

القاياتية : السيد / كامل عبد الجواد القاياتى

العيوية :

الهندوشية الشاذلية :

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

(أحمد عبد الهادى القصبى)

الأمين العام

(عبد الحميد عبد اللطيف)

٣	تعريف موجز بفضيلة الإمام
	الباب الأول (ص ١٠ - ص ٧٥)
	أسئلة جريدة التعاون
١١	تقديم لا بد منه
	السؤال الأول : حول المقصود بالتصوف الإسلامى ، وهل كان فى
١٣	عهد الرسول ﷺ ؟ وما هى مصادره ؟
	السؤال الثانى : حول الصوفى ولم الإصرار على استخدامه دون غيره
١٦	من المصطلحات الأخرى ؟
١٩	السؤال الثالث : حول ما يوجه للتصوف من اتهامات فلسفية أخرى .
	السؤال الرابع : حول هل للإسلام احتياج للتصوف ؟ وهل عرفه
	المسلمون من قبل ؟ وهل يضيف جديدا ؟ والفرق بينه وبين
٢٢	الزهد ؟
	السؤال الخامس : حول تعلق كون شيوخ التصوف من الفرس وأحفاد
٢٨	المجوس ، وازدهاره فى القرن السابع وما بعده
	السؤال السادس : حول اتهامات موجّهة إلى التصوف بأنه لا سند له ،
	ودخيل على الإسلام ، ويتعارض مع عقيدة التوحيد ، ويقدّس
٣٢	المشايخ ، ويدعو إلى التواكل والسلبية
٣٦	السؤال السابع : حول أولياء الله ، وهل الولاية تورث ؟
٣٨	السؤال الثامن : حول إقامة الأضرحة ، والموالد والتماس بركة الموتى ؟
٤٣	السؤال التاسع : حول صحة ضرورة وجود الشيخ للمريد ؟
	السؤال العاشر : حول استخدام الرقص والطبل والزمر وترديد بعض
	الألفاظ المحرّفة ، وتخيل الشيخ عند الذكر والاعتراف له
٤٦	بالذنوب ؟
٥٦	السؤال الحادى عشر : حول التضرع والتوسل واستخدام عبارة (مدد) ؟ .
	السؤال الثانى عشر : حول حكم المواكب الصوفية وما فيها من أعلام
٦٠	وأوشحة وعمائم ملونة ؟
	السؤال الثالث عشر : حول حكم الاعتقاد فى قدرة بعض الأشياع على
٦٤	الإطلاع على الغيب ؟
٦٧	السؤال الرابع عشر : حول ادّعاء العصمة للأشياع

- السؤال الخامس عشر : حول حكم توارث المشيخة فى أبناء الأسرة
 ٦٨؟ الواحدة ؟
 ٦٩؟ السؤال السادس عشر : حول تعيين ولى لله بالاسم ؟
 ٧١؟ السؤال السابع عشر : حول القول فى شفاعة الأولياء لاتباعهم
 ٧٣؟ السؤال الثامن عشر : حول صناديق التذور بالأضرحة ؟

الباب الثانى

(ص ٧٧ - ص ٩١)

أسئلة جريدة الأهرام

- السؤال الأول : حول أن التصوف استقى نظرياته من مصادر ومذاهب
 ٧٩؟ غير إسلامية ؟
 السؤال الثانى : حول بعض ألفاظ الصوفية فى أشعارهم مثل (ليلى
 ٨٢ والكأس ، والخمر ..)
 السؤال الثالث: حول قول الإمام الغزالى من « أن العقل يعجز عن
 ٨٤ كشف الحقيقة اليقينية (الله) والقلب هو القادر على ذلك »
 ٨٨؟ السؤال الرابع : حول نشأة الصراع بين الفقهاء والصوفية
 السؤال الخامس : حول خلو كتب الصوفية منذ القرن الثامن الهجرى
 ٩١ من الابتكار

الباب الثالث

(ص ٩٣ - ص ١٣٣)

أسئلة صحفية أخرى

- السؤال الأول : لم ترد كلمة « الصوفية » أو « التصوف » فى كتاب
 ٩٥؟ الله أو أحاديث رسول الله (ﷺ)
 ١٠٠؟ السؤال الثانى: ماذا يضر الإسلام لو شطبنا التصوف من بيته المسلمين ؟
 السؤال الثالث : ولكنهم يقولون : أنها أمور تتصل « بلا إله إلا الله »
 ١٠١؟ بالتوحيد
 ١٠٣؟ السؤال الرابع : الأذان الشرعى والبدعى
 ١٠٥؟ السؤال الخامس : حول اللحية
 ١٠٧؟ السؤال السادس : حول استئصال الشوارب وتوفير اللحية
 ١١٢؟ السؤال السابع: ألا ترى أن إهمال توفير اللحية تعطيل لبعض السنن ؟
 ١١٤؟ السؤال الثامن : حول المحراب
 ١١٧؟ السؤال التاسع : هل فى التصوف أفراد أو جماعات منحرفة ؟

- السؤال العاشر : عن زيارة القبور ١١٨
- السؤال الحادى عشر : حول رسالة « المجموعة المباركة » ١١٩
- السؤال الثانى عشر : حول اتخاذ الشيخ وساطة ١٢٠
- السؤال الثالث عشر : حول استحضار الشيخ عند الورد ١٢٢
- السؤال الرابع عشر : حول رتب رجال الصوفية ١٢٢
- السؤال الخامس عشر : حول تجول الأرواح فى السماء ومعنى الكشف
الروحى ١٢٣
- السؤال السادس عشر : حول احترام المريد لشيخه ١٢٤
- السؤال السابع عشر : لماذا لا يكون للمريد إلا شيخ واحد؟ ١٢٦
- السؤال الثامن عشر : الفرق بين الاعتراض والاستفسار والاستفتاء ١٢٧
- السؤال التاسع عشر : الجهر بالبسملة فى الصلاة ١٢٩
- السؤال العشرون : المسح على العمامة والقلنسوة ١٣٢
- السؤال الحادى والعشرون : رأى فى ختام الصلاة سرا وجهرا ١٣٣

الباب الرابع

(ص ١٣٥ - ١٦٣)

- خطاب صوفى جامع لفضيلة الرائد ١٣٧
- ابن تيمية ينصف الصوفية ١٥٠
- ابن القيم ينصف الصوفية ١٥٢
- الإمام الشاطبى السلفى : ينصف التصوف ١٥٤
- الإمام المحدث الذهبى يعترف ١٥٦
- ابن خلدون والتصوف الإسلامى ١٥٧
- الشيخ محمد عبده والتصوف الراشد ١٥٨
- العقاد والتصوف الصحيح ١٥٩
- الشيخ محمد سعاد جلال والتصوف ١٦٠
- الشيخ الشعراوى والتصوف ١٦١

الباب الخامس

(ص ١٦٥ - ١٨٢)

- تدرج تاريخ مشيخة المشايخ الصوفية ١٦٥
- وظيفة الخوانق ونحوها فى نشاط الثقافة الاسلاميه والخدمات
الانسانية ١٦٦
- أسماء مشايخ الطرق الصوفية ووكلاء المشايخ بجمهورية مصر
العربية ١٧٦

مطبوعات العشيرة المحمدية من مؤلفات فضيلة الإمام الراحل

أولا ● كتب مطبوعة :

- ١ - أبجدية التصوف الإسلامي . (طبعة رابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
- ٢ - قضايا الوسيلة والقبور في ضوء سماحة الإسلام . (طبعة ثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)
- ٣ - أصول الوصول . (طبعة ثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)
- ٤ - مرآة أهل البيت بالقاهرة . (طبعة رابعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)
- ٥ - فقه الصلوات والمدائح النبوية . (طبعة ثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)
- ٦ - دليل البيت المحمدي . (طبعة أولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)
- ٧ - السلفية المعاصرة إلى أين ؟ ومن هم أهل السنة ؟ (طبعة أولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)
- ٨ - أهل القبلة كلهم موحدون ، وكل مساجدهم . مساجد التوحيد . (طبعة أولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)
- ٩ - « مفاتيح القرب » أو « رسالة في حضرة الله » . (طبعة سابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)
- ١٠ - المرجع (معالم المشروع والمنوع من ممارسات التصوف المعاصر) للعارف بالله المرحوم الشيخ إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي . (تقديم وشرح وتعليق)
- ١١ - عصمة النبي ﷺ . (طبعة رابعة ٢٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
- ١٢ - معالم المجتمع النسائي في الإسلام . (طبعة ثانية)
- ١٣ - ديوان البقايا (شعر - جزء أول)
- ١٤ - ديوان المثاني (شعر جزأين)
- ١٥ - الخطاب . (طبعة خامسة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)

ثانيا ● كتب تحت الطبع :

- ١ - أعيان الشاذلية في العصر الحاضر .
- ٢ - بين التصوف والتمصوف .
- ٣ - فرائد الفوائد .